



٢٠١٠٢٠٠٠٠٠١١٦

- ١ -

ابن قتيبة ونقد الشعر

اعداد

محمد مريسي الحارثي

رسالة مقدمتيل درجة الماجستير من قسم الدراسات العليا

(فرع الأدب) بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة

(جامعة الملك عبد العزيز)

بإشراف

الدكتور / عبد الحكيم حسان عيسى



١٣٩٦ - ١٩٧٦

فهرس الموضوعات

| الموضوع | الصفحة |
|--|-----------|
| مقدمة | ج |
| تمهيد | ١ - ١٨ |
| الباب الأول | |
| (ابن قتيبة) | ١٩ - ٥٩ |
| الفصل الأول : ابن قتيبة حياته وآثاره | ٢٠ - ٤٣ |
| الفصل الثاني : النقد في مؤلفات ابن قتيبة | ٤٤ - ٥٩ |
| الباب الثاني | ٦٠ - ١٤٩ |
| (نقد الشعر عند ابن قتيبة) | |
| الفصل الأول : لغة الشعر | ٦١ - ٦٤ |
| الفصل الثاني : عيوب الشعر | ٦٥ - ٧٥ |
| الفصل الثالث : قضية اللفظ والمعنى | ٧٦ - ٩٦ |
| الفصل الرابع : دواعي حفظ الشعر واختياره | ٩٧ - ١١١ |
| الفصل الخامس : المتكلف والمطبوع | ١١٢ - ١٢٥ |
| الفصل السادس : موقف ابن قتيبة من القديم والحديث | ١٢٦ - ١٤٣ |
| الفصل السابع : موقف ابن قتيبة من السرقات الشعرية | ١٤٤ - ١٤٩ |
| الباب الثالث | ١٥٠ - ١٦٧ |
| (الشاعر عند ابن قتيبة) | |
| الفصل الأول : ثقافة الشاعر | ١٥١ - ١٥٤ |
| الفصل الثاني : علاقة الحالات النفسية بالشعر | ١٥٥ - ١٦٢ |
| الفصل الثالث : تقويم الشعراء | ١٦٣ - ١٦٧ |
| خاتمة البحث | ١٦٨ - ١٧١ |
| فهرس المراجع | ١٧٢ - ١٧٨ |

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم
المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد !

موضوع هذا البحث " ابن قتيبة ونقد الشعر " وواضح من هذا العنوان
ان البحث ذو شقين : يتناول الأول ابن قتيبة وحياته وآثاره العلمية ، وان كان
الذين ترجموا لابن قتيبة وكتبوا عن آثاره كثيرون ، إلا أن ترجمتنا له وحديثنا
عن علمه وآثاره تميل الى توضيح الجانب الادبي عند ابن قتيبة أكثر من
الجوانب العلمية الأخرى ، حيث أن الجانب الادبي عنده هو الخط الذي
يرسم لنا منهججه عندما تصدى لنقد الشعر .

ويتناول الثاني جانباً من جوانب ابن قتيبة العلمية وهو " نقد الشعر "
الذي ضمنه كتاب " الشعر والشعراء " .

ولا شك أن البحث في شخصية ابن قتيبة الناقد ذو أهمية كبيرة في
الدراسات الأدبية . فابن قتيبة عالم واسع المعرفة لم يترك لونا من ألوان
الثقافة العربية المتناول منه جانباً وأحسن فيه ، كما كان له نصيب وافر
من الثقافة الأجنبية التي عرفت في عصره ، وخير دليل على تعدد ثقافته
الرجل كتابه " عيون الأخبار " الذي جمع فيم بين الثقافة العربية والثقافات
الأجنبية كما تبين أثناء الحديث عن آثار ابن قتيبة العلمية في هذه الدراسة .

ولقد كانت ثقافته الواسعة مؤهلة لأن يتصدى لقضايا النقد العربي
التي ظهرت في عصره .

وتبدأ هذه الدراسة بتمهيد يتناول أهم الخطوات التي خطتها
النقد العربي منذ العصر الجاهلي حتى القرن الثالث الهجري .

وقد تطلبت طبيعة البحث أن يقسم الى ثلاثة ابواب . أما الباب
الأول فيكشف عن جوانب نشأة ابن قتيبة وحياته وآثاره ، كما يعرض بشيء من
التفصيل كتبه التي تناولت الجانب الادبي بصفة عامة في شيء من التعريف بها ،
بغية تحديد أيها الصق بنقد الشعر الذي هو موضوع هذه الدراسة . وقد
ظهر من هذا العرض للنقد في مؤلفات ابن قتيبة الادبية أن كتاب " الشعر -
الشعراء " هو الكتاب الذي يمثل الجانب النقدي عنده .

وفي الباب الثاني الذي يقوم على دراسة نقد الشعر عند ابن قتيبة محاولة
لتحديد موقفه من القضايا النقدية التي عالجها ، وتوضيح مدى ما أفاده من
النقاد القدماء أو المعاصرين له وما أضافه الى النقد العربي ومن ثم تقويم أثره
في الحركة النقدية بعمده .

أما الباب الثالث فيتناول اهتمام ابن قتيبة بشاعر وهنائه به ، فمالج
ما يحتاجه الشاعر من ثقافة تمكنه من ان يقف على ارض صلبة في ميدان الشعر ،
كما تناول الحالات النفسية وعلاقتها بالشعر ، الى جانب تناوله للنقد العملي
المتصل في تقويمه بعض الشعراء الذين ترجم لهم في كتاب الشعر والشعراء .

على أن هذه الدراسة التي أقدمها للكشف عن شخصية ابن قتيبة الناقد
قد لا تمثل الصورة الاخيرة لابن قتيبة الناقد ، ولكنها محاولة لرسم معالم
تلك الشخصية حسب المنهج الذي رسمه هو في كتاب الشعر والشعراء ، بعد
بذل الجهد ومراعاة الدقة في كل خطوة خطوتها في هذا البحث .

واننى لا رجو الله أن أكون قد حققت بهذه الدراسة صورة أقرب

ما يمكن من الصحة عن حياة ابن قتيبة وجهوده فى ميدان النقد العربى .

ولا يسنى وأنا اكتب هذه المقدمة الموجزة الا أن أتقدم بالشكر

الجزيل لسعادة الدكتور عبد الحكيم حسان عمر الذى أشرف على

اعداد البحث وأمدنى بالكثير من توجيهاته السليمة حتى أكتمل هذا البحث

على هذه الصورة التى أقدمها بين يدى القارئ ، ولا أجدننى الا مقصرا

فى توفيته ما يستحق من الشكر والتقدير .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل الصواب حليفنا وأن يجنبنا

الخطأ والزلل فإن وقعنا فى شئ من ذلك فالإنسان غير معصوم من الخطأ

والكمال لله وحده .

محمد مريمى سمد الحارثى

مكة المكرمة

كان للعرب في أواخر العصر الجاهلي مجالس أدبية ، وأسواق
(١) تجارية ، يجتمعون فيها ، ويتذكرون الأشعار ، ويتناقلونها فتذيع
بين القبائل ، مما دعى الشعراء الى التناقص وتقديم أجود ما تنبعت
به القرائح ، حتى كثر الكلام حول تلك الأشعار بين الإعجاب بها أو الانتقاص
منها ، وذلك بدأت تظهر الى الوجود بعض الآراء الفردية في أشعار الشعراء
القائمة على التأثر الشخصي والنظرة المجلى ، وكانت هذه الآراء هي بداية
(٢) النقد العربي .

ومن تلك الآراء تنبيههم الى أن النابغة الذبياني وشعرين ابى خازم كانا
يقويان في شعرهما ، ومن ذلك قول النابغة : (٣)

أمن آل مية رائج أو مفتد * عجلان ذا زاد وغير مـزور .

زعم البوارح أن رحلتنا غدا * وذاك خبرنا الغراب الأسود . (٤)

(١) كانت عكاظ من أشهر الأسواق التجارية التي يجتمع فيها العرب للبيع والشراء ، وقد اشتهر النابغة الذبياني بدقة ملاحظاته النقدية ، حتى ضرت له فسي السوق قبة من جلد ، كما كانت تعرض عليه أشعار الشعراء .

(٢) من أهم الكتب التي تناولت تاريخ النقد الأدبي عند العرب كتاب " تاريخ النقد الأدبي عند العرب من الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري " للمرحوم طه أحمد إبراهيم ، وكتاب " تاريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري " للدكتور احسان عباس .

(٣) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . (مصر ١٩٦٦ م) ج ١ ص ١٥٧-١٥٨ .

(٤) وفي الديوان . " وذاك تنماب الغراب الأسود " انظر النابغة الذبياني ديوانه . (بيروت ١٩٦٨ م) ص ٢٩ .

كما عابوا على المتلمس خطأه في المعلى حين قال : (١)

وقد اتنامى الهم عند احتضاره * بناج عليه الصميرة مكدم .

حيث جعل الصميرة سمة للفحل ، وهى من سمات الناقة .

أضف الى ذلك الروايات التى تشير الى وجود احتكام بين الشعراء الجاهليين ،

والمفاصلة بينهم ، كاحتكام الشعراء الى النابغة فى سؤ ، عكاظ ، وقصة حسان بن

ثابت والخنساء فى ذلك ، واحتكام شعراء تميم الى ربيعة بن حذار ، وقصة (٢)

أم جندب مع زوجها امرئ القيس وعلقمة الفحل ، وما وصل اليه الشعر فى أواخر

ذلك العصر على يد أوس بن حجر وشامة بن الفدير ، وزهير بن أبى سلمى .

واشباهم ، حيث أصبح الشعر فنا يتعلم بالدرية وملازمة المشاهير من الشعراء .

كل هذه الشواهد تدل على وجود نظرات نقدية فى العصر الجاهلى ، تناولت

طرفا من مقومات الصياغة وما يمرض للمعاني من بعض الميوب ، الا أن المقياس المعتمد

فى ذلك الذوق الفردى القائم على التأثير والنظرة السريعة ، اذ انها خطرات لا تشمل

نقدا فنيا بالمعنى الصحيح ، وآراء فردية لا ترقى الى مستوى الاتجاه النقدى المتكامل .

وقد استطاع بعض النقاد فى القرن الثالث الهجرى أن يقدموا لنا بعض تلك

الخطرات النقدية مع شئ من التعميل الحسن . فلاحظ يذكرا أنه منذ المصـــــر

الجاهلى نشأ التفريق بين نوعين من الشعراء : شعراء الصنعة الذين قوموا شعرهم

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ ص ١٨٣ .

(٢) انظر قصة احتكام شعراء تميم الى ربيعة بن حذار مفصلة فى طه احمد ابراهيم

تاريخ النقد الادبى عند العرب . (بيروت بدون تاريخ) ص ١٤ .

بالثقاف ونقحوه وأعادوا فيه النظر بعد النظر حيث يقول : " ومن شعراء المسرب
من كان يدع القصيدة حولا كريتا وزمنا طويلا ، يردد فيها نظره ، ويجعل فيها
عقله ، ويقلب فيها رأيه ، اتهاما لمقله ، وتبهما على نفسه ، فيجعل عقله
نماما على رأيه ، ورأيه عيارا على شعره ، اشفاقا على أدبه ، واحرازا لما خولسه
الله من نعمته ، وكانوا يسمون تلك القصائد " الحوليات " و " المقلدات " و
" المنقحات " و " المحكمات " ليصير قائلها فحلا خنديزا ، وشاعرا
مخلقا . " (١)

وكان الحطيئة يقول : " خير الشعر الحولى المحكم . " (٢)

وشعراء البديهة الذين لا يتكلفون الشعر ولا يتمبون فيه بكد خاطر ، وانما
يأتى عندهم عن اسماح وسهولة . وقد كان الجاحظ يحذ النوع الاول من الشعراء
الذين اعتمدوا طول الروية فى شعرهم ، وانتقد الأصمى الذى عاب على الحطيئة
تقويمه لشعره وتنقيحه له بقوله : " الحطيئة عبد لشعره . عاب شعره حين
وجده كله متخيلا مستويا لمكان الصنعة والتكلف والقيام عليه . " (٣)

وقد كان حال النقد فى عهد الخلفاء الراشدين كما هو الحال فى الجاهلية ،
لا يعدو أن يكون نظرات يسيرة وسريعة لم تتجاوز المرحلة التأثرية البحتة ، الا فسى
حالات نادرة جدا ، كالذى روي عن أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال مستدحيا
شعر زهير ابن أبى سلمى : " كان لا يماثل بين القول ، ولا يتبسع

(١) الجاحظ . البيان والبيان . (القاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م) ج ٢ ص ٧ - ٨ .

(٢) المصدر السابق . ص ١٣ .

(٣) المصدر السابق . ج ١ ص ٢٢٩ .

حوشى الكلام ، ولا يمدح الرجل الا بما هو فيه . " (١) فاذا صحت هذه الرواية ، فان عمر بن نقده قد تجاوز المرحلة التأثرية ، ومنى نقده على اصول متميزة تعتمد التحليل .

على ان تلك النظرات لا يمكن بحال من الاحوال ان تمثل الخط الذى سار عليه النقد الأدبى عند الجاهليين ، وفى عهد الخلفاء الراشدين تمثيلا واضحا ، لأنها لم تصب من الشيوع والانتشار ما يجعل منها اتجاها عاما . ولم تبدأ بذور النقد الموضوعى فى الظهور واضحة الا فى العصر الأموى ، حين ازدهر الشعر على يد المشاهير من شعراء الاسلام الذين كانوا يمثلون اتجاهات ومذاهب أدبية مختلفة ، لأنهم لم ينبتوا فى بيئة واحدة ، ولم تجمعهم اهداف سياسية موحدة . فأخذ الناس يدرسون نتائجهم ، ويتعمقون فى فهم الادب واتجاهاته ومذاهب الشعراء فيه ، مما اثرى ميدان النقد الأدبى .

وقد تعددت بيئات الادب والنقد فى هذا العصر . فكانت بيئة الحجاز ، وبيئة العراق ، وبيئة الشام ، والبيئة البدوية ، وقد قدمت كل بيئة لونا خاصا يمثّل صورة صادقة لكل جوانب الحياة فيها .^(٢) فبيئة الحجاز التى فقدت الخلافة فى هذا العصر أصبحت مقصدا لكثير من الموالى . وكان من بين أولئك عدد كبير

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ ص ١٣٨ .

(٢) انظر أحمد أمين . النقد الأدبى ، (بيروت ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م) ص ٤٥٠ - ٤٦٩ . فقد تحدث عن بيئات النقد فى العصر الأموى حديثا مفصلا .

من المفتين الذين امتلات بهم مكة والمدينة ، كان سريج ، والفريض ، ومعبد ،
وغيرهم ممن عمروا المجالس الغنائية بآرق الأصوات التي استهوت أهل الحجاز .
ولذلك حفلت أندية مكة المكرمة ومجالسها الأدبية والغنائية بركة شعر عمر
بن أبي ربيعة الذي انصرف إلى الفزل واللهو ، حتى أصبح فن الفزل على
يديه جنسا أدبيا مستقلا ، بعد أن كان لحظة موجزة يمرض لها الشاعر المرمى
في مقدمة القصيدة .

وكان ابن أبي عتيق من أشهر النقاد الذين تناولوا شعر ابن أبي ربيعة
فقد وصفه بأنه " أشعر قريش من دق معناه ، ولطف مدخله ، وسهل مخرجه ،
ومتن حشوه ، وتعطف حواشيه ، وأتارت معانيه ، وأعرب عن حاجته " (١)
أما المدينة المنورة فكان أشهر شعرائها الاحوص ، وعبيد الله بن قيس الرقيات .
وقد شاركا بشعرهما في تصوير تلك الحياة المترفة الناعمة ، وكان مجلس سكينسة
بنت الحسين في المدينة ملتقى الشعراء ، والمغنين ، ورواة الأشعار ، لما كان لها
من دراية بالشعر وأساليب الشعراء . روى صاحب الأغاني أنه قد احتكم إليها
ذات مرة " راوية جرير ، وراوية جميل ، وراوية نصيب ، وراوية الاحوص ،
فقال لراوية جرير : اليس صاحبك الذي يقول :

طرفتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجمي بسلام

(١) أبو الفرج الأصبهاني . الأغاني . (مصر ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م) ج ١ ص ١٠٩ .

واى ساعة للزيارة أحلى من الطروق ؟ قبح الله صاحبك وقبح شعره : الا قال :
فادخلى بسلام • ثم قالت لراوية كثير : اليس صاحبك الذى يقول :
يقربمينى ما يقربمينها * واحسن شئ ما به العين قسرت •
فليس شئ اقرب لمينها من النكاح • افيحب صاحبك أن ينكح ؟ قبح الله
صاحبك وقبح شعره •

ثم قالت لراوية جميل : اليس صاحبك الذى يقول :
فلو تركت عقلى معى ما طلبتها * ولكن طلا بيها لما فات من عقلى •
فما ارى بصاحبك من هوى • انما يطلب عقله • قبح الله صاحبك وقبح شعره • ثم
قالت لراوية نصيب : اليس صاحبك الذى يقول :
اهيم بدعما حييت فان اُمت * فوا حزنا من ذا يهيم بها بمدى •
فما ارى له همة الا من يتمشقها بعده • قبحه الله وقبح شعره • الا قال :
اهيم بدعما حييت فان اُمت * فلا ملحت دعد لذي خلة بمدى •
ثم قالت لراوية الاحوص : اليس صاحبك الذى يقول :

من عاشقين تراسلا وتواعدا * ليلا اذا نجم الثريا حلقا •
باتا بأنعم ليلة والذهبا * حتى اذا وضع الصباح تفرقا •
قال : نعم • قالت : قبحه الله وقبح شعره • الا قال : تعانقا • (١)
وكتاب الاغانى ملوء بوصف تلك المجالس الادبية التى خلقت فى الحجاز ادبا رقيقا

(١) ابو الفرج الاصبهاني • الاغانى (تصوير بيروت ١٩٥٩) ج ١٦ • ص ١١٠-١١١ •

يتفق مع مظاهر الحياة الاجتماعية ، وهذا الأدب الرقيق نتج عنه نقد دقيق يدل على تطور الذوق ورقيته .

أما العراق في العصر الأموي فقد شهد فنا من فنون الأدب التي كادت تنغيب عن عالم الأدب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك الفن هو شعر النقائض . فقد استهماد هذا الفن نشاطه الذي كان له في الجاهلية من جديد ، لأسباب اقتصادية وسياسية وقبلية ، واستأثر بجهود الشعراء الفحول . فقد عمر جرير والفرزدق سوق المريد بشعرهما ، وانضم إليهما بعض الشعراء الذين انحاز أكثرهم إلى جانب الفرزدق ، كالأخطل والراعي والبيهقي وغيرهم . ولقد تناول الناس أشعارهم ، وراحوا في صراع أدبي محتدم يوازنون وينظرون أيهم أشعر ، فيمتدحون شعر هذا ، وينتقصون شعر ذاك ، حتى لقد رأوا أن انصراف الشاعر عن الهجاء وعدم القول فيه من دواعي تأخيره عن ركب الفحول " فهذا ذو الرمة أحسن الناس تشبيها ، وأجودهم تشبيها ، وأوصفهم لرمل وهاجرة ، وفلاة ، وماء ، وقراد وحية ، فإذا صار إلى الصديق والهجاء خافه الطبع . وذاك أخره عن الفحول " (١) ولذلك كان جل نقدهم يدور حول المفاضلة بين الشعراء .

غير أننا إذا انتقلنا إلى الشام ، رأينا أن المظهر العام للأدب هناك فن

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ ص ٩٤ .

المديح ، حيث كانت دمشق مقر الخلفاء من بني أمية الذين فتحوا أبوابهم للشعراء
 ، يسمعون مدائحهم ، ويفدقون عليهم الأموال ، فكانت مجالس الخلفاء
 مدارس أدبية ، يشترك فيها الخلفاء والشعراء ، وكان من الخلفاء من لهم
 دراية بالشعر ، وطرق الشعراء ، ومناهجهم . ولعل عبد الملك بن مروان كان من
 أشهر الخلفاء الذين مارسوا نقد الشعر . فقد روى أنه غاب على الأخطىل
 قوله :

" خف القطين فراحوا منك أوبكروا "

حيث قال : " بل منك ان شاء الله " (١) ولم يقبل من جرير نبوءته فـ

قوله :

هذا ابن عبي في دمشق خليفة * لو شئت سأقكم الى قطيننا . (٢)

لأنه أدرك من ذلك ، أنه إنما جمل الخليفة في مقام الشرطي .

وعلى ما يبدو فإن النقد الأدبي في الشام وفي غيرها أولى المعاني اهتماما كبيرا
 من ناحية الجودة والرداءة ، أو الخروج على الذوق .

وقد كان أهل البادية آنذاك أقرب والصق في حياتهم وأشعارهم الى روح -

المصر الجاهلي ، في فخامة الألفاظ ، وجزالة المعاني ، وتشابه الموضوعات

(١) المرزباني . الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء . (القاهرة ١٣٨٥هـ)
 ص ١٢٩ .

(٢) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ - ص ٤٧٠ .

صوروا حياتهم خير تصوير ، قوصفوا في شعرهم الصحراء ، وموارد المياه ، والابل ،
 واجادوا في كل ذلك . فهذا ذو الرمة كان اوصف الشعراء لهاله علفة بحياته
 البادية ، وهذا جميل بن ميمر شاعر غزل من نوع آخر غير النوع السدي
 عرفناه في مكة والمدينة ، فهو محب مقيم ، قصد الحب لذاته ، ووصف ما يلاقيه
 من عذاب الهوى وتبارحه ، دون ان يسلك طرق المتعة والخلاعة . وهو بهذا
 يتقيد في غزله بتعاليم الدين واخلاقه ، ويحاول التمسك بها وعدم الخروج عليها .
 وما تقدم يبدو واضحا ان النقد الادبي في العصر الاموي كان يميل الى
 شيء من التعليل ، والوقوف على سر جمال الشعر ، وان لم يكن ذلك التعليل فنيا
 دائما ، اذ كان احيانا يقوم على مراعاة عادات العرب وتقاليدهم في اشعارهم ، ومن
 ذلك ما رواه المبرد ^(١) من ان عمر بن ابي ربيعة والاحوص ونصيبا وكثيرا ، قد
 اجتمعوا في مجلس ادبي ، فماب كثير على ابن ابي ربيعة خروجه على بعض
 تقاليد العرب في قوله :

قالت لها اختها تعاتبها * لا تفسدن الطوائف من عمر .
 قومي تصدى له ليصيرنا * ثم اغزبه يا اخت في خفر .
 قالت لها قد غزته فابى * ثم امطرت تشتد في اثري .

(١) انظر . المبرد . الكامل . القاهرة ١٩٥١ م . ج ١ ص ٣٣٢-٣٣٣

لقال كثير : أرادت أن تنسب بها فتسببت بنفسك .

وقد مدح كثير الأحرص في تمثيه مع التقاليد العربية ، وخضوعه لمحبتة
وذلك في قوله :

أدور ولولا أن أرى أم جعفر * بأبياتكم ما درت حيث أدور .

وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى * ألا لم يزر لأبد أن سـهـزور .

لقد منعت معروفها أم جعفر * واني إلى معروفها لفتـير .

لكنه عاد فذم الأحرص حين خرج على تقليد آخر ، حيث رأى أنه عاطفة الحب
لا تستمر عنده في حالة هجر المحبوبة له وذلك في قوله :

فان تصلى أمك وان تمودي * لهجر بعدد وملك لا أهلى .

وعلق على ذلك بقوله : " أما والله لو كنت من فحول الشعراء لهالته ، هلا قلت مثل
ما قال هذا وضرب بيده على جنب نصيب :

بزينب ألم قبل أن يظمن الركب * وقل ان تعطينا فما ملك القلبسب .

غير أن كثيرا عاب على نصيب قوله :

أهيم بدعد ما حييت فان أمت * فوا حزنا من ذايهم بها بمسدى .

لأن نصيبا أهتم بمن يخلقه في مكانه منها .

وقد تناقل الناس أمثال هذه الأحكام المأمة وما شابهها ، واخذوا يوازنون بين

الشعراء ، وظهرت فكرة الطبقات حينما نظروا إلى أصحاب الفن الواحد ليضمـمـوا

كل شاعر منهم في المنزلة التي يستحق . فحملوا جريرا وصاحبيه طبقة لا يجاريهم
أحد من معاصريهم ، وقد طور اللغويون هذه النظرة ونحوها ، وطبقوها على
الاسلاميين والجاهليين .

وقد قدم اللغويون والنحويون آراء ونظرات نقدية قيمة ، حيث استخرجوا
من كلام العرب القواعد اللغوية والنحوية ، ووقفوا على طرق العرب وأساليبهم
في التعبير وتنوعت دراساتهم ، واهتموا بكل ما يتصل بالشعر من أصول فنية .

إلا أن الدراسات اللغوية التي قامت في خدمة اللغة أخذت ما تحتاجه من
الشواهد والأمثلة من الشعر الجاهلي والاسلامي ، وأعرض كثير من اللغويين عن -
الشعر المحدث ما أحدث صراعا أدبيا بين القديم والمحدث دام زمانا طويلا .^(١)

وقد عاصر محمد بن سلام الجمحي كثيرا من علماء اللغة والنحو ، وشاركهم
في تلك الدراسات وأخذ عنهم ، وجمع كل ذلك في كتابه " طبقات فحول الشعراء " ،
الذي عرض فيه تلك النظرات النقدية التي سبقته عرضا علميا منظما ، وأضاف إليها بعض
آرائه الخاصة ، وكان كتابه سبق الكتب في هذا الميدان . لقد عالج ابن سلام
أهم القضايا النقدية في عصره كقضية الانتحال ، وأراد أن يعمل على تنقية الشعر
ورد كل مصنوع ، ثم بنى كتابه على تقسيم الشعراء إلى طبقات ، وانزال كل فـ
المنزلة التي يستحق . كما تناول أثر البيئة في الشعر والشعراء ، وذلك على
ذلك بتفاوت البيئات في إنتاج الشعر ، إلى جانب بعض الأحكام النقدية التي انفرد بها

(١) انظر تفصيل ذلك في موقف ابن قتيبة من قضية القديم والحديث .

واهتمدى اليها بذوقه .

وأما كان العصر الاموى عصر جمع التراث ، ورواية الشعر وحفظه
فان العصر العباسى قد سجل ذلك التراث ، ودونه فى الكتب والمؤلفات
كما كان هذا العصر عصر الحضارة والثقافة والترجمة والنضج الفكرى . وقد
استجاب الادب العربى لمطالب المجتمع ، وأسهى غير العرب فى انتاج الادب ،
وتقويته ، وبدأت مظاهر التغير فى الادب العربى منذ بداية العصر العباسى .
فبعد ان كان الادب يصور حياة البادية ومشاعر العرب وتطلعاتهم أصبح
يصور الحياة الجديدة بكل ما فيها من المظاهر الحضارية ، فاتسم الشعر بركة
المباراة ، وتعميق المعانى ، والى بعد عن المطحية ، وتناول تقدم مظاهر
التجديد والتطور فى الادب العربى ، ووضع القواعد التى تعين الناقد على
فهم الاحكام النقدية فى شئ من الترتيب والتنظيم ، واستتبع ذلك تطورا ودققة
فى الذوق نتيجة التمدن والتحضر . فهذا بشار بن برد يميل على كثير غلظته
فى التصوير فى قوله :

الا انما ليلى عصا خيزرانة * اذا غمزوها بالاكف تلين .
ويقول : " والله لو جعلها عصا من مخ اوزيد فكان قد هجنها بالمصا ، الا قال
كما قلت :

وبعضا المحاجر من معد * كان حديثها قطع الجنان .
اذا قامت لسبحتها تثنت * كان عظامها من خـسـيزران . (١)

(١) المبرد . الكامل . ج ٢ . ص ٨٠ . فى بيت كثير نقد لم يفتن له بشار .
وهو قوله : " اذا غمزوها بالاكف تلين . " فقد جعلها عرضه لكثير من الاكف
فكان احبها كثر .

ولاشك أن مثل هذا النقد يدل على دقة في التصوير ، ورهافة في الحس ، وهو مظهر من مظاهر تطور الذوق في العصر العباسي الذي لم يرض أن تعبئه المحبوبة بالمصا أيا كان لين هذه المصا . كما كان من مظاهر التطور في هذا العصر تلك الدعوة التي رفع لواءها أبو نواس ، والتي تدعو إلى أطراح المطالع التقليدي للقصيدة العربية ، وإحلال وصف الخبر محل ذكر الأطلال^(١) . وقد أصبح التأثير بالفكر اليوناني في هذا العصر ظاهرة جليلة ، فقد ترجم الكثير من التراث اليوناني آنذاك إلى العربية على نطاق واسع ، فأصبح النقد في هذا العصر وخاصة في القرن الثالث الهجري متشعب الجوانب مختلف الأمزجة متباين المناحي ، متأثرا بكل مظاهر العصر ، دونت فيه أهم النظرات النقدية القيمة التي أضافت إلى ما تقدمها من النظرات التنظيم ، وتحليل بعض المظاهر الأدبية . فهو نقد موضوعي يقوم على التعليل ، ويحاول التقنين للقواعد النقدية التي تمسك الناقد على إصدار الحكم الصحيح .

لقد اشتركت في النقد في هذه الفترة ذهنيات مختلفة ، فتكونت لكل ذهنية اتجاهات ومناح خاصة في ميدان النقد .

كان هناك منحى اللغويين ، وكان هؤلاء من أنصار القديم ، يقوم نقدهم على

(١) انظر في ذلك . مؤلف ابن قتيبة من القديم والحديث .

خدمة اللغة في تقويم الشعر بما يتصل به من أخطاء صرفية ، أو نحوية ، أو عروضية
وقد كانت لهم نظرات فنية تلمس عناصر الجمال في النص الأدبي . وهذه النظرات
ذاتية تتأثر بميل الناقد ، ودقيقه ، وثقافته ، وكان من يمثل هذا المنحى
أبو العباس ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ وأبو العباس المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ هـ وغيرهما
من علماء القرن الثالث الهجري^(١) .

وقد قدم المبرد صورة واضحة لمنحى اللغويين في القرن الثالث ، واتجاههم
في النقد ، وذلك في باب التشبيه من كتاب الكامل . فقد اختار في هذا الباب
خير ما عرف للمرب من التشبيه المعيب عند القدماء والمحدثين ، ثم عرض لكثير
ما أورد بالنقد والحكم ، مبينا وجوه الاستحسان أو الاستهجان في ذلك . يقول
في التشبيه : " فأحسن ذلك ما جاء بإجماع الرواة ما مر لامرئ القيس في كلام
مختصر أي بيت واحد ، من تشبيه شيء في حالتين بشيئين مختلفين وهو قوله :

كان قلوب الطير رطباً ويابساً * لدى وكرها العناب والحشف البالي " .^(٢)

ويعقب على ذلك بقوله : " فهذا مفهوم المعنى ، فان اعتراض معترض فقال : فهلا
فصل فقال : كانه رطباً العناب ، وكأنه يابس الحشف ، قيل له : المرى القصيح
الظن اللقن يرى بالقول مفهوماً ، ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيا " .^(٣)

(١) لقد كان مصدر اللغويين في روايتهم للشعر في القرن الثالث الهجري ما سجله أسلافهم
من اللغويين . الذين سبقوهم ، بالإضافة إلى اعتمادهم في بعض روايتهم على فصحاء
الاعراب الذين يفدون على الحواضر . فقد أخذ المبرد عن المازني وأبي حاتم
السجستاني وغيرهما . كما أخذ ثعلب عن محمد بن زياد الاعرابي ومحمد بن سلام
الجمحي .

(٢) المبرد : الكامل - ج ٢ ص ٣٥ - ٣٦

(٣) المصدر السابق - ج ٢ ص ٣٦ .

ثم يقول : " ومن تمثيل امرئ القيس المجيب قوله :

إذا ما الثريا في السماء تعرضت * تعرض أثناء الوشاح الفصل

وقد أكثر الناس في الثريا فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى ، ولا بما يقارب سهولة هذه الألفاظ ^(١) . ويورد لأبي نواس قطعة من التشبيه في صفة الخمر ثم يعتب عليها بقوله : " فهذه قطعة من التشبيه غاية على مخف كلام المحدثين ^(٢) .

وهكذا يفضى المبرد فيورد تشبيهات كثيرة لشعراء متقدمين كالنابغة وذو الرمة وعلامة الفحل وغيرهم حتى يصل إلى المحدثين فيورد لبيشار وأبي نواس ومسلم بن الوليد وغيرهم .

ولم يكتف المبرد بنقد التشبيه من حيث جودته أو رداءته بل تعداه إلى الحديث عن الشعراء ومذاهبهم في الشعر . يذكر أن أبا نواس من أكثر المحدثين تشبيها ويمزج ذلك إلى اتساعه في القول وكثرة تغننه واتساع مذهب ^(٣) .

وقد كان من أبرز خصائص نقد اللغويين إثارهم للشعر القديم لا لشيء إلا حاجتهم إلى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون إذ رأوا أن أسلم اللغة ما تكلم به القدماء . وكان هناك منحى الأدباء والشعراء الذي اهتم بالمحدث وأولاه عناينة كبيرة . فقد ظهرت المدرسة البيانية التي تغننت في البديع وبدأت ببشائر الذي كان يمد رأسا لها وكان من أبرز رجالها ابن هرمة ، والمتأبى ، ومنصور التمرى ، وأبو نواس ، ومسلم بن الوليد ، وأبو تمام . وقد أخذ هؤلاء الشعراء

(١) المبرد . الكامل . ج ٢ ص ٦٦

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٥

(٣) المصدر السابق . ج ٢ ص ٩١

يصورون الحياة الجديدة التي شهدتها مصر المماسة أحسن تصويراً فاتهم
شعرهم بركة المباراة وعميق الممانى واخذوا فى زخرفة الصياغة والاكتار من البديع
والتفنن فيه .

كما اخذ اصحاب هذا الاتجاه يعمنون بتحليل الشعر المحدث والوقوف على اهم
خصائصه و اشاروا الى مواطن الجودة او الرداءة فيه ووازتوا بينه وبين الشعر
القديم وادركوا ما بين المذهبين الشعرين من تفاوت . ولعل الصراع النقدي
الذى دار حول مذهب ابى تمام فى الشعر الذى اغرق فى الاستمارات البعيدة
حتى شغل النقاد فى القرن الثالث لعل ذلك الصراع يعطينا صورة واضحة
للقدر الادبى عند الادباء المحدثين . وكان خير من يمثل هذا الاتجاه فى النقد
ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٠ هـ الذى اهتم بنقد المحدثين وكتب رسالة فى محاسن
شعر ابى تمام ومساوئهم . والمنحى الثالث الذى يمثلها العلماء المتأثرون بمنطق
أرسطو طاليس^(١) ، وهو لاء حاولوا ان يضعوا مقاييس ثابتة لنقد الشعر تعتمد
التقنين والتعميد . وقد سبقت هذه المرحلة — مرحلة التقنين — المرحلة
المنهجية التى يمثلها الأمدى والجرجاني والتى اكملت بعهد القاهرة . فهذا
الاتجاه الثالث اجنبى محض ، لا يتصل بالقديم ، ولا يركن الى اصوله ، فهو يستمد

(١) فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ترجم اسحاق بن حنين كتاب الخطابة
لأرسطو ، وقد قرأه قدامة وانتفع بأصوله فى نقد الشعر العربى .

قواعده الأساسية من اليونان . وكان أبو الفرج قدامة بن جعفر صاحب كتاب نقد الشعر أصدق مثال لهذا المنحى ، فقد حاول أن يفسر الشعر العربي بأصول من البلاغة والنقد عند اليونان ، بالرغم من أن الأدب العربي لــــه طبيعته الخاصة وتقاليده ، وحالاته الاجتماعية التي لا يمكن بحال من الأحوال أن تخضع لأصول اجنبية تختلف معها في المذاهب والمناحي وطرق التفكير . وهناك المنحى الرابع . ويتمثل في مذهب العلماء الذين جمعوا بين القديم والحديث في اعتدال . فقد أخذوا نصيبا كبيرا من التراث العربي قديمه وحديثه وشاركوا في العلوم الثقافية الاجنبية ، فتأثروا بالفلسفة والبلاغة والمنطق فقاموا بتنظيم الافكار النقدية التي وصلتهم من القدماء ، ووضموها في أصول وقواعد ، ثم أضافوا اليها بعض نظراتهم النقدية الحديثة ، فجاء لهم ذوق خاص في نقد الأدب ، وكانوا معتدلين في نظراتهم وفي أحكامهم النقدية ، يحاولون التوفيق بين الاتجاهات النقدية المتشعبة . وخير من يمثل هذا المذهب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ . وأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة .

كان ابن قتيبة عالما متفتنا في مختلف العلوم تجلت عناصر ثقافته في مؤلفاته بصفة عامة ، وتجلت في كتاب " عيون الاخبار " بصفة خاصة . فقد جمع في هذا الكتاب بالإضافة الى الثقافة العربية الاسلامية ثقافات أخرى كثيرة ، مثل الفارسية والهندية ، والنبطية ، والسريانية ، واليونانية ، والكتب المقدسة .

ولقد اتخذ ابن قتيبة لنفسه موقفا خاصا في نقد الادب ، فنظم الافكار النقدية التي وصلتته من القدماء ، ووضعها في أصول وقواعد ، وأضاف اليها بعض نظراته النقدية التي انفرد بها ، واتصف بموقفه التوفيقى في كثير من القضايا النقدية التي عالجها . وقد طالب ابن قتيبة الادباء بالتوازن في مجالات المعرفة وحاول أن يفرق بين الروح العلمية والذوق الادبى ، فرأى أن انصراف الاديب الى المصطلحات الفلسفية وعلوم المنطق يبعده عن تذوق الادب . فقال : " فاني رأيت اكثر اهل زماننا هذا عن سبيل الادب ناكبين ، ومن اسمه متظيرين ولاهله كارهين فأبعد غايات كاتبنا في كتابته أن يكون حسن الخط قوهم الحروف وأعلى منازل ادبينا أن يقول من الشعر ابياتا في مدح قينة أو وصف كأس ، وأرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئا من تقويم الكواكب ، وينظر في شيء من القضاء وحده المنطق ، ثم يعترض على كتاب الله بالظمن وهو لا يعرف معناه ، وعلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب وهو لا يدري من نقله ولو أن هذا المحجب بنفسه الزارى على الاسلام برأيه نظير من جهة النظر لآحياء الله بنسب الهمدى وثلج اليقين ، ولكنه طال عليه أن ينظر في علم الكتاب ، وفي اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ، وفي علوم العرب ولغاتها وآدابها فنصب لذلك وعاءه وانحرف عنه الى علم قد سلمه له ولا مثاله المسلمون ، وقل فيه المتناظرون ، له ترجمة تروق بلا معنى ، واسم يسهول بلا جسم " . (١)

ومع ذلك لم يسلم ابن قتيبة من تلك الروح العلمية التي دعى الى عدم التوغل فيها ، والتي طغت على بعض نظراته النقدية التي عالجها في كتاب الشعر والشعراء .

الباب الاول

ابن قتيبة

(الفصل الأول)

* ابن قتيبة *

حياته وأخباره

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة^(١) الديلمى ، لم تحدثنا كتب المراجع عن أبيه مسلم وكل ما نعرفه عنه هو اسمه فقط . إلا أن أبا محمد قد ذكر

- (١) كل المراجع تذكر بهذا الاسم ما عدا الترجمة المربية لدائرة المعارف الإسلامية " القاهرة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م " ج ١ ص ٢٦٠ فانها تسميه " أبا عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة المروزي .
- وقد تناولت الكتب التالية ترجمة ابن قتيبة وتسجيل آثاره :
- الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد (مصر ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م) ج ١ - ص ١٧٠ - ١٧١ . ابن الأثير . الباب (مصر ١٣٥٦هـ) ج ٢ ص ٢٤٢ . ابن النديم . الفهرست (مصر ١٣٤٨هـ) ص ١١٥ - ١١٦ . ابن خلكان . وفيات الأعيان . (مصر ١٣١٠هـ) ج ١ ص ٣١٤ - ٣١٥ . ابن الأنباري . نزهة الألباء . (مصر ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م) ص ٢٠٩ - ٢١٠ . عمر رضا كحالة . معجم المؤلفين . (دمشق ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م) ج ١ ص ١٥ . السيوطي . بغية الوعاة . (مصر ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م) ج ٢ ص ٦٣ - ٦٤ . والمزهر . (مصر بدون تاريخ) ج ٢ ص ٤٦٥ . ابن الجوزي . المنتظم . (حيدرآباد ١٣٦٠هـ) ج ٥ ص ١٠٢ . الصقلاني . لسان الميزان . (حيدرآباد ١٣٣٠هـ) ج ٣ ص ٣٥٧ - ٣٥٨ . الأزهرى . تهذيب اللغة . (مصر ١٣٨٤ - ١٩٦٤م) ج ١ ص ٣٠ - ٣١ . النووي . تهذيب الأسماء واللغات . (مصر بدون تاريخ) ج ٢ ص ٢٨١ . ابن الأثير . الكامل في التاريخ . (بيروت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) ج ٧ ص ٤٣٨ . ابن تخرى بردى . النجوم الزاهرة . (مصر ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م) ج ٣ ص ٧٥ - ٧٦ . ابن كسير . البداية والنهاية في التاريخ . (مصر ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م) ج ١١ ص ٤٨ - ٥٧ . القفطي . إنباء الرواة . (مصر ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م) ج ٢ ص ١٤٣ . الذهبي . تذكرة الحفاظ . (حيدرآباد ١٣٣٣هـ) ج ٢ ص ١٨٧ . المعبر في خبر من غير (الكويت ١٩٦١م) وميزان الاعتدال (مصر ١٣٨٢ - ١٩٦٣) ج ٢ ص ٥٠٣ .

- ابن العماد • شذرات الذهب (مصر ١٣٥٠ هـ) ج ٢ • ص ١٦٩ .
ابو الطيب اللخوى • مراتب النحويين (مصر ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م)
ص ٨٤ - ٨٥ .
السماعى • الأنساب (طبعة بالزكوفراف ١٩١٢ م) ص ٤٤٣ .
اليافعى • مرآة الجنان " بيروت ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م " ج ٢ ص ١٩١ .
اسماعيل باشا البغدادي • هدية العارفين (طبعة بالأوفست طهران
١٣٨٧ هـ) ص ٤٤١ .
احمد امين • فحوى الاسلام (مصر ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م) ج ١ ص ٤٢٥ .
الزركلى • الأعلام (مصر ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م) ج ٤ • ص ٢٨٠ .
البستاني • دائرة المعارف (بيروت ١٩٦٠) ج ٣ • ص ٤٤٩ .
مجلة تراث الانسانية (القاهرة ١٩٦٤ م) ج ٢ • ص ٣٣٠ وما بعدها .
سلسلة اعلام الصرب ٢٢ (مصر ١٩٦٣ م) .
سلسلة نوابغ الفكر العربى ١٨ (مصر ١٩٦٥ م) .
وانظر التمرير به فى كنهه التاليف :-
مقدمة الجزء الرابع من عيون الاخبار (مصر ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م نسخة
بالأوفست ١٩٧٣ م)
ومقدمة كتاب الميسر والقداح (القاهرة ١٣٨٥ هـ) ومقدمة تأويل مشكل
القرآن (مصر ١٣٩٣ - ١٩٧٣ م) .
ومقدمة كتاب المعارف (مصر ١٩٦٩ م) ومقدمة كتاب ادب الكاتب .

(١) انه أخذ عنه في بعض كتبه ، وان كان ما أخذه عنه قليلا .

وينحدر ابن قتيبة من اصل فارسي وقد صرح بذلك في قوليه حاجا
الشعرية : " فلا يمنحني نسب في المعجم أن ادفعها عما تدعيه لها جهلتها " (٢)
ويقال له " القتيبي " او " القتي " نسبة الى جده قتيبة ، كما
يلقب ايضا بلقب " المروزي " لان والده من مرو .

(٣) أما نسبه الى الدينور فلانه ولي قضاءها فترة من الزمن فنسب اليها .
ولم تحدد المراجع التي كتبت عنه تلك الفترة التي اشتغل فيها بالقضاء في الدينور ،
ولم يشر هو في كتبه الى تلك الإقامة . والمصروف عن ابن قتيبة انه لم يكن على
صلة كبيرة بمعظماء الدولة العباسية ، اللهم الا علاقته بوزير المتوكل والمعتصم
" أبي الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان " الذي أهدى له ابن قتيبة
كتابه " ادب الكاتب " كما اشار الى ذلك في مقدمة الكتاب . (٤) ولعل تلك الصلة
بالوزير العباسي هي التي مكنته من تولي قضاء الدينور كما اشار الى ذلك ابن السيد
البطليوسي . (٥)

-
- (١) انظر . ابن قتيبة . عيون الأخبار . ج ١ ص ١٤٢ . و ج ٢ ص ٣٠٧ .
(٢) محمد كرد علي . رسائل البلغاء (كتاب العرب) " مصر ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م " ص ٢٦٩ .
(٣) الدينور بكسر الدال وسكون الياء وفتح النون والواو . مدينة من أعمال الجبل
قرب قريسين " انظر . ياقوت الحموي . معجم البلدان " بيروت ١٣٧٥ هـ -
١٩٥٦ م " ج ٢ ص ٥٤٥ و " القفطى . انباء الرواة . ج ٢ ص ٤٣ - ٤٤ .
و " الترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية . ج ٩ ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .
(٤) انظر . ابن قتيبة . ادب الكاتب . المقدمة . ص ٥ .
(٥) انظر . ابن السيد البطليوسي . الاقتضاب في شرح ادب الكاتب " بيروت ١٩٠١ م " ص ٢٤ .

x x x x

على أن كثيرا من الذين ترجموا لابن قتيبة لم يهتموا بذكر السنة التي ولد فيها ،
أما الذين اهتموا بمولده فجمعون على أنه ولد سنة ٢١٣ هـ . ولا خلاف بينهم
في ذلك .

ألا أنهم اختلفوا في مكان الولادة . فابن الأثير وابن النديم وابن
الانباري يذهبون إلى أنه ولد في الكوفة ، ولذلك يطلق عليه لقب " الكوفي " .
وقال آخرون : (١) أن مولده كان في بغداد .

وكما اختلف المؤرخون في البلد الذي ولد فيه اختلفوا كذلك في السنة
التي مات فيها .

وقد ذكر ابن خلكان " ٦٨١ هـ " اختلاف المؤرخين حول وفاة ابن قتيبة
فقال : " أنه توفي في ذي القعدة سنة سبعين ، وقيل سنة إحدى وسبعين ،
وقيل أول ليلة من رجب وقيل منتصف رجب سنة ست وسبعين ومائتين " . (٢)

ثم يرجع ابن خلكان أن القول الأخير هو أصح الأقوال ، وهو ما أخذ به
جل من ترجموا لابن قتيبة . ولعل ما يؤيد ترجيح ابن خلكان ومن وافقه
من المؤرخين ما رواه ياقوت في معجم البلدان عن بلدة " بيانة " وهي بلدة

(١) انظر السمعاني . الانساب : ص ٤٤٣ . والقفطي . انباه الرواة : ج ٢ :
ص ١٤٣ .

(٢) ابن خلكان . وفيات الأعيان : ج ١ : ص ٣١٥ .

اندلسية من أن قاسم بن أصبغ بن يوسف البلياني رحل منها إلى المشرق
سنة ٢٧٤ هـ وأخذ عن جماعة من علماء منهم ابن قتيبة^(١) .

x x x x

ويحيط الفصوص بنشأة ابن قتيبة الأولى إذ لا نعرف شيئاً عن طفولته
ولا صباه ، وكل ما نعرفه أنه قضى معظم حياته في بغداد يأخذ عن علماءها ، كما
قضى فترة من حياته في " الدينور " ولقد عاش أكثر حياته في بغداد وهي
يومئذ حاضرة الدولة العباسية وملتقى العلماء في كل فن ، وموطن رواد المعرفة
من جميع أقطار الدولة الإسلامية الواسعة ، وذلك أثرت حياة بغداد العلمية
في نشأته الفكرية ، فكان له سهم وافر من كل لون من ألوان العلوم ، وكان يساهم
شغف بأن يتعلق من كل علم بسبب إذ كان هذا هو الطابع العام للثقافة المربية
الإسلامية في عصره فهو يقول : " وقد كنت في عنقوان الشباب وتطلب الآداب أحب
أن أتعلق من كل علم بسبب وأن أضرب فيه بسهم " ^(٢) فجدد في تحصيل العلم
على علماء الحديث واللغة والأدب والرواية وكان من أشهر شيوخه .

أحمد بن سعيد اللحياني . صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام ، فقد قرأ عليه
أبو محمد كتابي " الأموال " و " غريب الحديث " لأبي عبيد في سنة ٢٣١ هـ .

(١) ياقوت الحموي . معجم البلدان : ج ١ : ص ٥١٨ .
(٢) ابن قتيبة . تأويل مختلف الحديث : (مصر ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م) ص ٦١

- وابو عبد الله محمد بن سلام الجمحي " سنة ٢٣١ هـ "
- وابن راهويه ابو يعقوب اسحاق بن ابراهيم " ٢٣٨ هـ "
- وابو عبد الله حرمله بن يحيى التجيب " ٢٤٣ هـ "
- والزيادي ابو اسحاق ابراهيم بن سفيان " ٢٤٩ هـ "
- والسجستاني ابو حاتم سهل بن محمد " ٢٤٨ هـ " او " ٢٥٥ هـ "
- وابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ " ٢٥٥ هـ "
- وابو الفضل العباسي بن الفرج الرياشي " ٢٥٧ هـ "
- وعبد الرحمن بن عبد الله بن قريب " ابن اخي الاصمى " .
- وقد اخذ ابن قتيبة عن هؤلاء العلماء كما اخذ عن غيرهم ممن ذكرهم في كتبه
- وقد كانوا يمثلون الواناً مختلفة من العلوم الانسانية التي استوعبها ابن قتيبة
- فألف في كل فن وأقرأ كتبه ببغداد الى حين وفاته ^(١) ، وانتفع بها كثير
- من اخذ العلم عنه وكان من أبرز تلاميذه .
- احمد بن مروان المالكى " ٢٩٨ هـ "
- واحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة " ٣٢٢ هـ " .
- وابو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه الفسوي " ٣٣٥ هـ "
- وابو القاسم عبيد الله بن احمد بن بكر التميمي " ٣٣٤ هـ " .

(١) انظر ابن العماد . شذرات الذهب : ج ٢ ص ١٦٩ والخطيب البغدادي . تاريخ بغداد : ج ١٠ : ١٧٠ .

وابو القاسم ابراهيم بن محمد بن ايوب بن بشير الصائغ " ٣١٣ هـ .

وابو محمد عبيد الله بن عبد الرحمن السكري " ٣٢٣ هـ .

وابو سعيد الهيثم بن شريح الشاشي الاديب " ٣٣٥ هـ .

وابو محمد قاسم بن اصبح بن يوسف البياضي الاندلسي " ٣٤٠ هـ .

ولقد شارك ابن قتيبة علماء عصره في كل فنون العلم والمعرفة ، غير ان ذلك

لم يحصمه من اتهام بعض العلماء له قس عقيده وعلمه ، فكان بذلك موضع

خلاف بين كثير من العلماء في الناحيتين الدينية والعلمية .

وقد صحح دينه ووثقه جلة من العلماء . فقد جمعه ابن تيمية " لاهل

السنة مثل الجاحظ للمعتزلة " (١)

وقال الخطيب البغدادي في ابن قتيبة : " وكان ثقة ديناً فاضلاً " (٢)

وقال ابن النديم : " وكان صادقاً فيما يرويه عالماً باللغة والنحو وغريب القسرات

ومعانيه ، والشعر والفقه " (٣)

ويقول ابن خلكان : " كان فاضلاً ثقة " (٤)

وقال ابن الجوزي : " وكان عالماً ثقة ديناً فاضلاً " (٥)

(١) ابن تيمية . تفسير سورة الاخلاص . (مصر ١٣٥٢ هـ) ص ١٢١ .

(٢) الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد . ج ١٠ . ص ١٧٠ .

(٣) ابن النديم . الفهرست . ص ١١٥ .

(٤) ابن خلكان . وفيات الأعيان . ج ١ . ص ٣١٤ .

(٥) ابن الجوزي . المنتظم . ج ٥ . ص ١٠٢ .

وقال الحافظ الذهبي : " أبو محمد صاحب التصانيف صدوق قليل الرواية " (١)

وقال ابن كثير في القتيبي : " صاحب المصنفات البديعة المفيدة ، المحتوية

على علوم جمة نافعة . " (٢)

وعلى هذا اكره العلماء الذين ترجموا لابن قتيبة . غير أن هناك آخرين

اتهموه في عقيدته محاولين بذلك الانتقاص منه والغض من شخصيته بالتشهير به .

فقد روى ابن تفرى بردى عن البيهقي قوله في ابن قتيبة : أنه " كان يـــــــرى

راى الكرامية " (٣) ويروى السيوطى عن الدارقطنى أن ابن قتيبة " كان يميل

الى التشبيه " (٤) على أن البيهقي والدارقطنى متأخران يفصل بينهما وبين ابن قتيبة

اكثر من قرن من الزمن ومن هنا لا يوثق بانتماء مهبا اياه بالزيف . ولو أن ابن

قتيبة كان يرى راى الكرامية او كان يميل الى التشبيه لآخذ ذلك عليه

من عاصره من العلماء ، وما يدفع ذلك الاتهام ايضا اشتغال ابن قتيبة بالقضاء

واتصافه بالفضل والوقار ، كما أنه كان فى مؤلفاته شديد الاخلاص للاسلام

والمسلمين يخص العرب دائما بالفضل لان الرسول على الله عليه وسلم بحث فيهم .

(١) الذهبي . ميزان الاعتدال . ج ٢ . ص ٥٠٣ .

(٢) ابن كثير . البداية والنهاية فى التاريخ . ج ١١ . ص ٤٨ .

(٣) ابن تفرى بردى . النجوم الزاهرة . ج ٣ . ص ٧٦ .

(٤) السيوطى . بغية الوعاة . ج ٢ . ص ٦٣ .

ومذلك كان خير مدافع عن الدين وعن العرب • ثم ان جلة من كتبوا عن ابن قتيبة وثقوه من جهة عقيدته كما أوردنا بعض اقوالهم فيه كابن تيمية والخطيب البغدادي وابن النديم وابن خلكان وابن الجوزي وغيرهم • ومن الأدلة الواضحة على توثيق عقيدة ابن قتيبة الدينية التي تدل على استقامته وفضله ووقاره وحرصه على الدفاع عن الاسلام •

وكيف يمكن لهؤلاء الذين اتهموا ابن قتيبة في عقيدته أن يوفقوا بين ما قدموا من اتهام وبين ما كان لهذا المتهم من مساهمة فعالة في الرد على المشبهة حيث صنف كتابا في هذا الفرض سماه " الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة " وقد نسب المشبهة الى الافتراء على الله في احاديث التشبيه (١) •

أما فيما يتعلق باتهامهم لابن قتيبة في علمه فقد نسب ابن الانباري كما روى الازهرى الى الغفلة والغباء وقلة المعرفة • (٢)

وقال ابو الطيب : ((وكان ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري اخذ عن ابن حاتم والرياشي وعبد الرحمن بن اخي الاصمى • وقد اخذ ابن دريد عن هؤلاء كلهم وعن الاثنان داني ، الا أن ابن قتيبة خلط عليه بحكايات عن الكوفيين لم يكن اخذها عن ثقات ، وكان يشرع في أشياء لا يقوم بها نحو تعرضه لتأليف كتابه

(١) انظر ابن قتيبة • تأويل مختلف الحديث ص ٢ - ١٣ •

(٢) الازهرى • تهذيب اللغة • ج ١ ص ٣١ •

فى النحو وكتابه فى تعبير الرؤيا ، وكتابه فى معجزات النبى صلى الله عليه وسلم
وعلى الله ، وعيون الاخبار ، والمعارف والشعراء ، ونحو ذلك مما أئزى به
عند العلماء ، وان كان نفق بسها عند العامة ومن لا بصيرة له .^(١)
وروى ابن تغرى بردى قال : " وكان خبيت اللسان يقع فى حق كبار العلماء ."^(٢)
يعنى ابن قتيبة . لقد كان ابن قتيبة ثقة فى علمه وطرق كل الوان الثقافة التى برزت
فى عصره ، فكانت مؤلفاته بديمة مفيدة احتوت على معارف كثيرة ، افاد منها الخلف
بعده . وعلى ذلك فهو لم يشهم فى علمه من معاصره كما وثقه فى ذلك اكثر من ترجموا
له .

ويظهر ان هؤلاء قد ارادوا من ابراز تلك المآخذ الانتقاص من شخصية
ابن قتيبة ومكانته العلمية . وما لا شك فيه ان ابن قتيبة كان واسع الاطلاع عالما
باللغة والشعر والنحو وغريب القرآن ومعانيه بالاضافة الى تزوده بالثقافات الاجنبية
التي عرفها عصره ، فهو كما يقول احمد امين : " يصرف كثيرا ويجمع كثيرا ويؤلف
كثيرا " . الا أنه لم تكن له تلك الشخصية القوية القادرة على هضم كل المعارف التى
جمعها والفها . كما انه كثيرا ما يعتمد النقل فى مؤلفاته كما يظهر ذلك جليا فى

-
- (١) ابو الطيب . مراتب النحويين . ص ٨٤ - ٨٥ .
(٢) ابن تغرى بردى . النجوم الزاهرة . ج ٣ . ص ٧٦ .
(٣) تناول السيد احمد صقر فى مقدمة نشرته لكتاب تاويل مشكل القرآن لابن قتيبة
ص ٤٥ - ٧٦ . موضوع اختلاف العلماء . حول ابن قتيبة جرحا وتعديلا ووازن -
بين الأقوال المختلفة موازنة دقيقة وانتهى الى تأييد آراء من وثقوه
مستدلا على ذلك بأدلة قاطعة من مؤلفات ابن قتيبة نفسه .
(٤) احمد امين . ضحى الاسلام . ج ١ . ص ٤٢٥ .

كتاب عيون الاخبار وربما كان هذا هو السبب في طعن اولئك المؤلفين عليه .
اما ما وصفه به ابن تغرى بردى من انه كان خبيث اللسان ، وانه يقع في -
حق كبار العلماء فذلك ما لا يتفق مع شخصية ابن قتيبة العالم الذي اتصف
بالفضل والوقار والخلق الكريم . وقد أنكر ابن قتيبة هذا الخلق من غيره اذ قال
في مقدمة ادب الكاتب : " ونحن نستحب لمن قبل عنا واثم بكتبنا ان يؤدب نفسه
قبل ان يؤدب لسانه ، ويهذب اخلاقه قبل ان يهذب الفاظه ، ويصون مروءته
عن دناءة الخبيثة ، وصناعته عن شين الكذب ^(١) " ثم قال في موضع آخر
" فاما السباب وشم السلف ، وذكر الاعراض بكبير الفواحش فمما لا نرضاه لخماس
المبيد صفار الولدان ^(٢) " .

(١) ابن قتيبة . ادب الكاتب . المقدمة . ص ١١ .
(٢) المصدر السابق . المقدمة . ص ١٢ .

x x x x x

كانت الحياة التي نشأ في ظلها ابن قتيبة في بغداد حياة علمية
اتسمت بحركة فكرية واسعة جمعت بين التراث العربي وبين آثار الأمم الأجنبية
فتأثر ابن قتيبة بذلك الحياة العلمية . فقد درس الثقافة العربية ووقف على
كثير من الثقافات الأجنبية التي برزت في عصره ، فتناول في مؤلفاته الواسعة
من المعرفة ، وكان في كل ذلك يحاول أن يحيط بكل علوم العصر فانه في ذلك
شان الجاحظ وغيره من علماء ذلك العصر .

وقد اشترك في النزاع بين أهل السنة والمعتزلة وكان من رؤساء أهل السنة
وأدلى بدلوه في مشكلة خلق القرآن التي نماها المتكلمون بعد أن مال إلى جانبهم
المأمون فقامت شوكتهم . وقد انكر عليهم جلة علماء المسلمين تلك البدعة - وكان
من بين المنكرين ابن قتيبة ، وألف في ذلك كتابا سماه " الرد على القائل بخلق
القرآن " كما بسط رأيه في تلك المشكلة في كتابه " الاختلاف في اللفظ والرد
على المشبهة والجهمية " . ووقف من أهل الرأي موقف المداء ، وحمل عليهم
حملات شديدة في كتابه " تأويل مختلف الحديث " وكان يناقشهم مناقشة علمية
سليمة يوضح لهم فيها فساد آرائهم وأحكامهم وتناقضها .

(١) كما شارك في الرد على الشيعية عندما استفحل أمرها ، وحاولت أن -

(١) انظر . ابن عبد ربه . المقداد القزويني : (القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢) ج ٣
ص ٤٠٨ - ص ٤٠٩ . وحمد كرد علي . رسائل الخلفاء : (كتاب العرب)
ص ٢٦٩ - ٢٩٥ .

تنتقص من العرب ، وقد ألف ابن قتيبة كثيرا من الكتب الدينية التي تناولت شرح
مشكل القرآن والحديث والفقه .

وكان الى جانب تبحره في المعلوم الدينية ادبيا واسم الاطلاع ، وقد قرر
مفهوم الادب على اساس أن الاديب من طرق فنونا كثيرة من العلم ، فهو يقول :
" من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا ، ومن أراد أن يكون ادبيا فليسمع
في المعلوم " .^(١) ولذلك فقد استأثرت الناحية الادبية من لغة وشعر ومعارف

عامة بجهود ابن قتيبة ، فقد شارك بالاضافة الى ما تقدم في الخلاص النحوي
الذي نشأ بين علماء البصرة وعلماء الكوفة ، وعده بعضهم رأس المدرسة البغدادية^(٢)
التي قامت بين مدرستي البصرة والكوفة . وقد شرح غريب القرآن والحديث ، والسف
كتابه " ادب الكاتب " في اللغة . كما تناول في بعض كتبه المعارف العامة ، والانساب
والاحداث التاريخية والأخبار ، وكأنه بذلك أراد أن يعاير من نهجوا هذا
المنهج من معاصريه في محاولتهم الاحاطة بكل معارف العصر ، كالجاحظ مثلا الذي
تأثر به ابن قتيبة^(٣) وسار على طريقته في كثير مما كتب .

أما فيما يتصل بالشعر ونقده ، فانه قد جمع في كتبه الأدبية مادة غزيرة

-
- (١) ابن عبد ربه . العقد الفريد . (مصر ١٣٥٩ - ١٩٤٠) ج ٢ ص ٢٠٨
(٢) انظر بروكلمان . تاريخ الادب العربي (مصر ١٩٦٨) ج ٢ ص ٢٢١ ،
والترجمة العربية لدائرة المعارف الاسلامية - ج ١ - ص ٢٦٠ - ٢٦١ .
(٣) لقد تأثر ابن قتيبة بالجاحظ في شغفه بأن يلم في كتبه بجميع فنون المعرفة
كما نقل عن الجاحظ في بعض كتبه . حيث يقول في " عيون الأخبار " : " وسأ
أجاز لنا عمرو بن بحر الجاحظ من كتبه قال : " . ابن قتيبة . عيون الأخبار
ج ٣ ص ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ . وانظر تأثر ابن قتيبة بالجاحظ في كتاب " عبد
الحكيم بليغ . النشر الفنى وأثر الجاحظ فيه (القاهرة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م) ص
٢٧٥ - ٢٨٠ .

من أعلام الشعراء دلت على علو كعبه في هذا الفن ، فقد أورد في " عيون
الأخبار " كثيرا من الأشعار المشاكلة لما يورده من الأخبار والنوادر
أضاف إلى ذلك ما جمعه من أخبار الشعراء ، وأشعارهم في الكتب الأدبية
الأربعة التي أفردتها عن كتاب " عيون الأخبار ^(١) " ، ثم جمع غريب الشعر
في كتاب كبير سماه " كتاب المعاني الكبير " وخص هذا الكتاب بناحية واحدة
هي : شرح المعاني الفريسة في الشعر ، وكأنه أراد بعمله هذا أن يجعل
من دراسة لغة الشعر مقدمة لنقده . ومن مظاهر اتساع ثقافته الأدبية أن ترجم
لمائتين وستة من الشعراء في كتاب " الشعر والشعراء " فتحدث عن أخبارهم وأشعارهم
منذ العصر الجاهلي حتى النصف الأول من القرن الثالث الهجري . ولذلك تمتد
كتبه الأدبية من أهم المراجع القديمة في تاريخ الأدب .

وقد برزت شخصية ابن قتيبة الناقد في تلك المقدمة القيمة التي صدر بها كتاب
الشعر والشعراء والتي أودعها آراءه النقدية التي جمعها من سابقه ، التي
جانب بعض النظرات النقدية التي انفرد بها .

ولا شك أن عمله في النقد كان خطوة موفقة إلى الأمام ، إلا أنه حاول فيها
أن يجعل للنقد قواعد ثابتة ، فهدى بذلك لقاعدة التقنين والتقييد في النقد

(١) انظر ابن قتيبة . عيون الأخبار . ج ١ . المقدمة ص ٥ .

المصري ، وهى القاعدة التى نهاها قدامة بن جعفر من بعده ،
ولم يمل ابن قتيبة الى محاولة وضع قواعد ثابتة للنقد المربى الا بتأشير
من تلك الثقافات الأجنبية التى عرفت فى عصره ، وامتزجت عنده بالتراث المربى .
وقد تجلت عناصر تلك الثقافات بوضوح فى كتابه " عيون الأخبار " الذى
نقل فيه كثيرا من أخبار الفرس ، واليونان ، والهند وغيرهم من الأمم ، كما
اطلع على الكتب السماوية واستشهد فى كثير من آرائه ببعض ما جاء فى التوراة والانجيل
ومذ لك تناولت ثقافة ابن قتيبة جميع معارف عصره ، مما كان له أثره الكبير
فى طريقة التأليف عنده . فقد كان على درجة كبيرة من التنظيم والترتيب
والتبويب وحسن الاختيار ، فاخط بذلك لنفسه منهجا فى تأليفه مغايرا لمناهج
معاصره ، كالجاحظ فى " الحيوان " و " البيان والتبيين " والمبرد فى
" الكامل " فلم يصدر اى منهج ~~نفسا~~ عن منهج منظم فى كتبه .
غير ان ابن قتيبة يعتمد اكثر ما يفمل الجاحظ على العادة الادبية المجموعة
من مصادر كثيرة ومتنوعة ، وهو كثيرا ما يشير الى تلك المصادر كما فمل فى كتابه
" عيون الأخبار " .

حيث قال : " واعلم أنا لم نزل نتلقت هذه الاحاديث فى الحداثات
والاكتهال عن هو فوقنا فى السن والمعرفة ، وعن جلسائنا واخواننا ، ومن كتب
الاعاجم وسيرهم ، وبلاغات الكتاب فى فصول من كتبهم ، وعن هو دوننا " .^(١)

(١) ابن قتيبة . عيون الأخبار . ج ١ . المقدمة . ص ٣٠ .

غير أن هذا الاعتماد على المادة المجموعة من مصادر سابقة وإن جعل ابن قتيبة في مرتبة فكرية أدنى من مرتبة الجاحظ ، فإنه جعل مؤلفات ابن قتيبة صورة صادقة لثقافة المصر الذي كتبت فيه على تنوع هذه الثقافة وتعدد جوانبها مما يجعل لهذه المؤلفات قيمة خاصة . وهذا ما لم يدركه المعاصرون فحسب يسئل فطن اليه جلة من العلماء في القديم .

x x x x x x

وقد حفظ التاريخ لابی محمد عبد الله بن مسلم اكثر من خمسين مؤلفاً تناولت الواناً من فنون المصرفة التي عرفها القرن الثالث الهجرى ٤ فمن تلك المؤلفات ما وصلنا ومنها ما عدت عليه عوادى الايام فلم نعرفه الا بالاسم فقط وقد ذكر اكثر من ترجم لابن قتيبة الكتب التالية :

- ١- كتاب ادب الكاتب : " مطبوع " ١٢- كتاب المسائل والاجوبة " مطبوع "
- ٢- كتاب المعارف : " " ١٣- كتاب الرد على المشبهة : ذكره ابن التديم ٥ والسيوطى ٥ والقفطى ٥ ويبدو انه الكتاب الذى طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٤٩ هـ بتحقيق المرحوم الشيخ محمد زاهد الكوثبرى باسم كتاب " الاختلاف فى اللفظ والمعنى والرد على الجهمية والمشبهة " ٥
- ٣- كتاب عيون الاخبار : " " ١٤- كتاب فضل المرب على المجمع : ذكره ابن قتيبة فى كتابه عيون الاخبار ج ٢ ص ١٨٥ وذكره فى الشعر والشعراء ج ١ ص ٦٤ ونقل عنه ابن عبد ربه فى المقد الفريد ج ٣ ص ٤٠٨ - ض ٤١ ونشرت منه قطعة فى رسائل البلفاء من ص ٢٦٩ الى ص ٢٩٥ .
- ٤- كتاب المعانى الكبير : " "
- ٥- كتاب الشعر والشعراء : " "
- ٦- كتاب غريب القرآن : " "
- ٧- كتاب تاويل مشكل القرآن : " "
- ٨- كتاب تاويل مختلف الحديث : " "
- ٩- كتاب الاثرية : " "
- ١٠- كتاب الانوار : " "
- ١١- كتاب الميسر والقداح : " "
- ١٥- كتاب غريب الحديث : ذكره ابن قتيبة فى كتابه " تاويل مختلف الحديث " ص ١٢ ص ١٧٠ ص ٢١٢ وذكره

ابن النديم ، والخطيب ، والسيوطي ، وابن خلكان ، وابن كثير ، وابن
الانباري ، والقفطي وابن العماد ، ومنه نسخة في الخزانة الظاهرية
بدمشق تشكل الثلث الاول والثالث الاخير من هذا الكتاب تحت رقم
٣٤ ، ٣٥ لفنة .

١٦- كتاب الجرائم : ومنه نسخة في الخزانة الظاهرية بدمشق تحت رقم " ٥٩ لفنة "
١٧- كتاب الالفاظ المفردة بالالفاظ المعربة : ومنه نسخة خطية بمكتبة جامع القرويين
رقم " ١٢٦٢ لفنة " .

١٨- معاني القرآن : ذكره السيوطي في بغية الوعاة .
١٩- كتاب القراءات : ذكره ابن النديم في الفهرست .
٢٠- اعراب القراءات : هكذا سماه ابن خلكان في وفيات الاعيان والقفطي في انباه
الرواه ، ويذكره ابن النديم في الفهرست والسيوطي في البغية باسم " اعراب
القرآن " ولا نعلم ما اذا كان هذا الكتاب والكتاب السابق له كتابا واحدا ام -
كتابين منفصلين .

٢١- الرد على القائل بخلق القرآن : ذكره السيوطي في البغية .
٢٢- آداب القراءة : ذكره صاحب كشف الظنون .
٢٣- مشكل الحديث : ذكره الخطيب وابن الانباري وابن خلكان والقفطي وابن العماد
وذكر ابن النديم كتاب " المشكل " لابن قتيبة ولا ندري هل قصد به كتاب

" مشكل القرآن " الذي تقدم ذكره أم قصد به " مشكل الحديث " هذا .

٢٤- اصلاح غلط ابن عبيد : هكذا ذكره السيوطي في البقية ، وذكره ابن

النديم باسم " اصلاح غلط ابن عبيد في غريب الحديث " وذكره القفطي

وابن خلكان وابن الصماد باسم " اصلاح الغلط " .

٢٥- دلائل النبوة : هكذا ذكره ابن النديم والسيوطي وحاجي خليفة . وذكره

ابن الانباري باسم " دلائل النبوة من الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم

السلام " .

٢٦- جامع الفقه : ذكره ابن النديم بهذا الاسم وسماه القفطي " كتاب الفقه "

٢٧- كتاب التنقيح : ذكره ابن النديم وابن خلكان والقفطي وحاجي خليفة .

٢٨- كتاب عيون الشعر : ذكره ابن النديم وقال : " انه يحتوي على عشرة

كتب منها : " كتاب المراتب ، كتاب القلائد ، كتاب المحاسن ، كتاب -

المشاهد ، كتاب الشواهد ، كتاب الجواهر ، كتاب البراكب " . (١)

٢٩- كتاب المراتب والمناقب من عيون الشعر : ذكره ابن النديم بعد ذكر كتاب

" عيون الشعر ويظهر ان كتاب المراتب جزء من كتاب " عيون الشعر " .

(١) ابن النديم . الفهرست : ص ١١٥

٣٠- معانى الشعر الكبير : ذكره ابن النديم بهذا الاسم وقال : " انه يحتوى

على اثني عشر كتابا .

١- كتاب الفرس - ستة واربعون بابا

٢- كتاب الابل - ستة عشر بابا

٣- كتاب الحرب - عشرة ابواب

٤- كتاب القدور - عشرون بابا

٥- كتاب الديار - عشرة ابواب

٦- كتاب الرياح - احدى وثلاثون بابا

٧- كتاب السباع والوحوش - سبعة عشر بابا

٨- كتاب الهوام - اربعة عشر بابا

٩- كتاب الايمان والدواهي - سبعة ابواب

١٠- كتاب النساء والفضل - بساب واحد

١١- كتاب الشيب والكبر - ثمانية ابواب

١٢- كتاب تصنيف الملما - باب واحد

٣١- ديوان الكتاب : ذكره ابن النديم ، والسيوطى ، وحاجى خليفة .

٣٢- تقوم اللسان : ذكره حاجى خليفة ، وقد يكون هذا الكتاب هو الذى انتظم

فى كتاب ادب الكاتب .

- ٣٣- كتاب خلق الانسان : ذكره ابن النديم ، والسيوطى ، وحاجى خليفة
- ٣٤- كتاب الخيل : ذكره ابن النديم وابن خلكان ، والسيوطى والقفطى .
- ٣٥- جامع النحو الكبير : ذكره ابن النديم والسيوطى والقفطى .
- ٣٦- جامع النحو الصغير : ذكره ابن النديم والسيوطى والقفطى .
- ٣٧- التسمية بين الصرب والمجم : ذكره ابن النديم والقفطى ويجوز ان يكسبون هذا الكتاب هو الكتاب الذى تقدم ذكره باسم " فضل الصرب على المجم " لما بينهما من تشابه وتقارب فى الاسم .
- ٣٨- كتاب الحكاية والمحكى : ذكره ابن النديم .
- ٣٩- كتاب فرائد الدر : ذكره ابن النديم .
- ٤٠- حكم الامثال : ذكره ابن النديم
- ٤١- آداب العشرة : ذكره ابن النديم .
- ٤٢- كتاب العلم : ذكره ابن النديم والقفطى وقال ابن النديم : انه فى خمسين ورقة " .
- ٤٣- كتاب القلم : ذكره السيوطى بهذا الاسم ولعل هذا الكتاب هو الكتاب السابق " كتاب العلم " فقد يكون التشابه بينهما من تحريف النساخ .
- ٤٤- تصبير الرؤيا : هكذا ذكره ابن النديم وابو الطيب . وذكره ابن قتيبة فى مقدمة عيون الاخبار باسم " تأويل الرؤيا " .
-

- ٤٥ — الجوابات الحاضرة : ذكره السيوطى وحاجى خليفة .
- ٤٦ — كتاب الفرسى فى معانى الشمر : ذكره القفطى فى انهاء الرواه * ويبدو ان هذا الكتاب اما ان يكون جزءا من كتاب " معانى الشمر الكبير " الذى تقدم الحديث عنه لان اول جزء من ذلك الكتاب ورد باسم " كتاب الفرسى " واما ان يكون هذا الكتاب هو كتاب " معانى الشمر الكبير " بكل ما انتظم فيه من اجزاء .
- ٤٧ — كتاب الوحش : ذكره ابن قتيبة فى كتابه الانواء ص ٤٣ .
- ٤٨ — كتاب الصيام : ذكره ابن قتيبة فى كتابه الانواء ص ١٣٠ .
- ٤٩ — كتاب الوزراء : ذكره ابن منظور فى لسان العرب اذ يقول : " والمرب تسمى من يحمل جفون السيف خلا لا . وفى كتاب الوزراء لابن قتيبة فى ترجمة ابى سلمة . حفص بن سليمان الخلال فى الاختلاف فى نسبه * فروى عن ابن الاعرابى انه منسوب الى خلل السيف من ذلك ^(١) .
- ٥٠ — كتاب آلة الكتاب : ذكره البطليسى فى الاقتضاب : ص ٥٩ * ص ٨٤ ، ص ٨٧ .
- ٥١ — كتاب صناعة الكتابة : ذكره السيد احمد صقر فى مقدمته لكتاب تاويل مشكل القرآن لابن قتيبة وذكر انه نقل منه الخزاعى فى كتابه " تخرىج الدلالات السمية " ص ٣٥٨ . ولا نعلم ما اذا كان هذا الكتاب والكتاب السابق

(١) ابن منظور — لسان العرب : (بولاق ١٣٠٢ هـ) ج ١٣ : ص ٢٣٣ — ٢٣٤ .

له كتابا واحدا لما بينهما من تشابه في الاسم ام كتابين منفصلين .

٥٢- استماع الفناء بالالحن : ذكره صاحب كشف الظنون .

وهناك كتاب نسب خطأ لابن قتيبة وهو كتاب " الامامة والسياسة " ويبحث هذا الكتاب في تاريخ الخلافة من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى عهد الامين والمأمون . والذي ينفي نسبة هذا الكتاب عن ابن قتيبة أمور كثيرة منها :

١- أن المصادر التي تحدثت عن كتب ابن قتيبة لم تذكر له هذا الكتاب مطلقا ولم يذكره ابن قتيبة في كتبه أيضا .

٢- أن مقدمة كتاب " الامامة والسياسة " لا تتجاوز ثلاثة أسطر وهي تمثل افتتاحية فقط على عكس ما عرف عن ابن قتيبة من اهتمامه بمقدمات كتبه التي يرسم فيها منهجه وغرضه من التأليف .

٣- أن من يروى عنهم مؤلف هذا الكتاب لم يكونوا من شيوخ ابن قتيبة الذين ورد ذكرهم في كتبه . فابن قتيبة لم يرو عن ابن ابي مريم وابن عفير وغيرهما .

٤- يروى مؤلف الكتاب عن ابن ابي ليلى التجيبى (١) الذي كان قاضيا بالكوفة " سنة ١٤٨ هـ " وابن قتيبة في ذلك الوقت لم يولد بعد .

(١) انظر . ابن خلكان . وفيات الاعيان ج ١ : ص ٥٧٢ . وانظر روايته عن ابي ليلى في الامامة والسياسة (مصر ١٩٦٧ م) ج ٢ : ص ٦٤

٥- روى المؤلف أخباراً عن فتح الأندلس مشافهة عن مولاة لمجد الله
(١)
بن موسى شهدت الفتح على أن فتح الأندلس كان سنة ٩٢ هـ
وميلاد ابن قتيبة كان في سنة ٢١٣ هـ .

٦- ذكر مؤلف الامامة والسياسة " أن هارون الرشيد قد عهد بولاية
المهد لابنه عبد الله المأمون أولاً ثم لابنه محمد الأمين ثانياً .
وهذا خطأ في حقيقة تاريخية ثابتة لأن المهد كان للأمين
أولاً ثم للمأمون بعده وهذه الحقيقة التاريخية الثابتة" أشار إليها
ابن قتيبة في كتابه " المعارف " (٢)
لذلك يبدو أن اجتماع مثل هذه الأمور تكفي لنفي نسبة كتاب
" الامامة والسياسة " عن ابن قتيبة .

(١) انظر . الامامة والسياسة . ج ١ . ص ٦٥ .

(٢) انظر . ابن قتيبة . المعارف . ص ٣٨١ .

الفصل الثاني

النقد فى مؤلفات ابن قتيبة

سبق أن أوردنا فى الفصل السابق قائمة بمؤلفات ابن قتيبة التى تناولت
الوانا شتى من العلوم والمعارف ، والتى حرص فيها على أن يجعل اللغة
والشعر والاختصار فى تناول الناشئة من الكتاب . وهذا ما أشار اليه كثيرًا
فى مقدمات كتبه ، حتى ليبدو أن هذه الفكرة استأثرت الى حد بعيد بجهود
ابن قتيبة .

وقد قدم فى مجموعة كتبه الادبية ما يشهد بعلوم مكانته فى اللغة وسمعة
اطلاعه ومعرفته بأشعار العرب وأساليبهم ، والوقوف على أخبارهم . فقد جمع
فيها مادة ادبية قيمة من الشعر العربى ، تناولت موضوعات كثيرة تتصل بحياة
العرب وعاداتهم وتقاليدهم ، وأحوالهم الاجتماعية .
وهو فى جمعه لتلك المادة الفريدة المتنوعة من الشعر يحمى الى تنسيقها ،
وترتيبها ، تبعًا للأخبار التى يوردها ، لتكون مشكلة لها ، ثم يتناولها بالشرح
والتعليق ، ويستخلص ما تودى اليه معانيها من صور تمثل حياة المجتمع العربى
مع توخيهِ الإيجاز فى كل ذلك ، ليصل المتأدبون وطلاب المعرفة الى بغيتهم
فى يسر وسهولة .

ونجد فى كتب ابن قتيبة الادبية صورة - واضحة لتذوقه للشعر ، فهو

يتذوقه ويحسن اختياره له ، والامثلة على ذلك كثيرة . ولعل أوضح مثال على ذلك ما أورده في كتاب " عيون الاخبار " ، حيث جمع فيه اشعاراً كثيرة رتبها تبعاً لمادة الكتاب ، فقرن الباب بشكله من تلك الأسماء التي دلت على حسن اختياره لها ، فكان من بديع اختياراته أبيات محمد بن أبي حمزة مولى الأنصار التي قال عنها أنها أغرب ما قيل في مصلوب ، وهي قوله :^(١)

لصمى لئن أصبحت فوق مشذب * طويل تمفيك الرياح مع القطر
لقد عشت مبسوط اليدين مرزاً * وعوفيت عند الموت من ضخطة القبر
وأقلت من ضيق التراب وغمة * ولم تفقد الدنيا فهل لك من شكر

وقد استحسنت بعض الأسماء ورأى أنها تمثل الجودة في الشعر ، وأورد لها فصلاً مصغراً في الجزء الثاني من كتاب عيون الاخبار تحت عنوان " الأبيات التي لا مثل لها " . كما أورد في الجزء الرابع من الكتاب نفسه أبياتاً حسنة فسي الفزل تحت عنوان " أبيات في الفزل حسان " .^(٢)

وقد دلت تلك الاختيارات على مدى تذوقه للشعر ، وحسن اختياره لـه ويطول بنا الحديث لو استقصينا تلك الاختيارات الكثيرة المتنوعة ، وهي مبثوثة في كتبه الأدبية .

-
- (١) ابن قتيبة . عيون الاخبار - ج ٢ . ص ١٩٦ .
(٢) انظر ابن قتيبة . عيون الاخبار . ج ٢ . ص ١٩١ - ١٩٢ .
(٣) انظر المصدر السابق . ج ٤ . ص ١٣٨ - ١٤٢ .

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن نقد الشعر في مؤلفات ابن قتيبة أن نتحدث
عن كنهه التي تناولت الجانب الأدبي بصفة عامة ، وأن نقدمها في شيء من التصرّف
بها ، حتى نحدد أيها الصق بنقد الشعر الذي هو موضوع هذه الدراسة . وهذه
المؤلفات الأدبية هي :-

١- كتاب أدب الكاتب .

وهو من الكتب التي اشتملت على معارف كثيرة . تناول فيه ابن قتيبة
كل ما يمكن أن يعين ناشئة الكتاب في عصره ، ويدخل في أعدادهم
كدراسة اللغة والفاظها وتراكيبها ، والتدرب على الكتابة السليمة والالمام
بكثير من العلوم والمعارف ، واعتبر ذلك كله من الآلات الضرورية التي
لا بد للكاتب أن يتزود بها . وقد قسم الكتاب أربعة أقسام :

١- كتاب المصرفة .

٢- كتاب تقويم اليد .

٣- كتاب تقويم اللسان .

٤- كتاب الإنشئة .

وقد صدر المؤلف الكتاب بقدمة طويلة بين فيها حال الكتاب والأدباء
والشعراء في عصره ، وعزوفهم عن دراسة الكتاب والسنة ، وعلوم العرب ولفاتها
وآدابها ، وانصرافهم إلى الفلسفة وعلم المنطق ، ورأى أن انصراف الناشئة

الى ذلك يمددهم عن منابع ادبهم ، مما يكشف عن الروح المحافظ عند ابن قتيبة .
وقد تناولت تلك الكتب الاربعة التي انتظمها كتاب " ادب الكاتب " مباحث شتى في استعمالات اللفظة ، وفي النحو والصرف ، وفي قواعد رسم الكلمات الى جانب توجيهه الناشئة الى تعلم العلوم الكونية ، كالفلك وغيره ، وهو فسى هذا الكتاب يحاول كماداته في بعض كتبه ان يجمع ما امكنه من علوم عصره .

وقد رأى ان اكتساب الناشئ اكبر قدر من المعارف الواسعة ضرورة لا بد من التزود بها قبل ان يتصدى للكتابة ، لان الشمول في المعرفة هو السمة المميزة للثقافة الكتاب في ذلك العصر ، لانه من شأنه ان يعين الكاتب على مواجهة كل ما يمكن ان يعرض له من مشاكل ادارية .

وقد حظى هذا الكتاب بمناية كثير من العلماء . فقد شرحه ابو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السيد البطليوس المتوفى سنة ٤٢١ هـ وشرحه ابو منصور موهوب بن احمد الجوالقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ . وغيرهما .

وقد شرح بعضهم مقدمة الكتاب خاصة . كابن القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ ومبارك بن فاخر النحوي المتوفى سنة ٣٣٨ هـ . كما شرح ابيات الكتاب فقط . احمد بن محمد الخازرنجي المتوفى سنة ٣٤٨ هـ .

٢- كتاب المعارف :

يعد هذا الكتاب من كتب التاريخ العام جمع فيه ابن قتيبة الواسع

مختلفة من المعرفة . فيه مبتدا الخلق ، وقصص الأنبياء ، وأنساب العرب ، وأخبار
الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصحابته والتابعين ، والخلفاء ، وحملات
الحديث ، وأصحاب الرأي ، والقراء ، والنسابين ، وأصحاب الأخبار ، ورواة الشعر
والغريب والنحو والأوائل ، وذكر المساجد المشهورة ، وحدود جزيرة العرب
وأخبار الفتح ، وأديان العرب في الجاهلية ، وصناعات الأشراف ، وذكر أهـل
الماهات ، ونوادير الحوادث ، وأخبار ملوك العرب والمجم ويتخلل ذلك كله
مادة أدبية أوردها المؤلف على سبيل الاستشهاد .

وقد أشار ابن قتيبة إلى منهجه في جمع مادة الكتاب وذلك في مقدمته حيث

قال : " وكان غرضي في جميع ما اقتضت ، الإيجاز والتخفيف والقصد للمشهور من
الأنبياء دون المغمور ، ولما يجرى له سبب على المنة الناس دون ما لا يجرى له سبب^(١)
ويدوان الذي دفع بأبن قتيبة إلى جمع تلك المعارف هو ما رآه من ضرورة
تعلمها والوقوف عليها لكل كاتب ومثاقب . وقد أحسن المؤلف في اختيار مادة الكتاب
وتنظيمها تنظيماً دقيقاً اعتمد فيه الترتيب والتبويب المناسب بحيث يسهل على القارئ
الحصول على بغيته دون أن يكلف نفسه المناه والتعب بالبحث في ثنايا الكتاب .
كما امتاز الكتاب بمادته الغزيرة بالإضافة إلى الإيجاز المناسب الذي يفسري

(١) ابن قتيبة . المعارف : المقدمة : ص ٦

القارىء بمواصلة القراءة دون ملل أو سأم بغير خلل أو نقص فى مادة الكتاب .
ومذلك جمع بين يدى القارىء ما يحتاجه من ألوان المعرفة ، ليوفّر
لنفسه حصيلة علمية وتاريخية وأدبية ، ولهذا أعطى الكتاب صورة صادقة
لثقافة العصر وكان مرجعا هاما فى كثير من فنون المعرفة .

٣- كتاب عيون الأخبار :

وهو من أشهر كتب ابن قتيبة الأدبية ، وقد قسمه إلى

عشرة كتب :

- ١- كتاب السلطان .
 - ٢- كتاب الحرب .
 - ٣- كتاب السؤدد .
 - ٤- كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة .
 - ٥- كتاب العلم والبيان .
 - ٦- كتاب الزهد .
 - ٧- كتاب الإخوان .
 - ٨- كتاب الحوائج .
 - ٩- كتاب الطعام .
 - ١٠- كتاب النساء .
-

وعلى الرغم من أن المؤلف يعتمد في هذا الكتاب اعتمادا كاملا على النقل عن غيره فإن الكتاب غزير في مادته ، لمتزجت فيه الثقافات العربية والاجنبية وذل فيه ابن قتيبة جهدا كبيرا دل على سعة اطلاعه في مختلف الفنون والمـلـم ، وقد اشار في مقدمة الكتاب وفي صلبه احيانا الى مصادره التي استقى منها تلك المادة القيمة التي تضمنت الاخبار الطريفة ، والشعر الرائع ، والنثر البليغ ، قال في المقدمة : " واعلم اننا لم نزل نتلقت هذا للاحاديث في الحداثة والاكتـهـال عن هو فوقتنا في السنن والمعرفة ، وعن جلسائنا واخواننا ، ومن كتب الاعاجـم وسيرهم ، وملاغات الكتاب في فصول من كتبهم ، وعن هو دوننا غير مستنكفين ان نأخذ عن الحديث سنا لحدائـه ، ولا عن الصغير قدرا لخـسـائـه ، ولا عن الامة الوكـمـاء لجهلها فضلا عن غيرها ، فان العلم ضالة المؤمن من حيث اخذه نفعه ولن يـزـرى بالحق ان تسمه من المشركين ، ولا بالنصيحة ان تستنبط من الكاشحين (١) . "

وهو يشير الى تنوع مادة الكتاب وتعـدـد مستوياتها بقوله : " ولم ارضوا بـا ان يكون كتابي هذا وفقا على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ، ولا على خواص الناس دون عوامهم ، ولا على ملوكهم دون سـوقـتهم فوفيت كل فريق منهم قـسـمـه

(١) ابن قتيبة . عيون الاخبار . ج ١ . المقدمة . ص

ووفرت عليه سهمه . . . فاذا مريك أيها المزمع حديث تستخفه أو تستحسنه ،
أو تمجب منه ، أو تضحك له ، فأعرف المذهب فيه وما أردنا به . وأعلم
أنك إن كنت مستغنيا عنه بتسلكك فإن غيرك ممن يترخص فيما تشددت فيه محتاج
إليه ، وإن الكتاب لم يعمل لك دون غيرك فيها على ظاهر محبتك .^(١)

والكتاب يعكس المفهوم السائد آنذاك لكلمة أدب التي كانت تضم جانبا خلقيا
يقوم على تهذيب النفس ، وغرس الفضائل فيها عن طريق تقديم الانماط الحسنة
من آداب السلوك ، كما كانت تضم جانبا ادبيا فنيا وهو تقديم النماذج الادبية
الرائعة قصدا للامتناع من ناحية ولتقديم المادة الضرورية لتدريب الناشئة في مجال الأدب
من ناحية ثانية . وقد قدم كل ذلك في صورة ميسرة اتسمت بالترتيب والتنظيم ، وقلصة
الاستطراد ، لتكون قريبة التناول ، سهلة التعلم والحفظ . وقد أشار المؤلف
إلى منهجه هذا الذي اعتمد الترتيب والتنظيم فقال : . . . وقد قرنت الباب
بشكله والخبر بمثله ، والكلمة بأختها ، ليسهل على المتعلم علمها وعلى المدارس
حفظها .^(٢)

ولذلك يعتبر الكتاب خطوة موفقة في التأليف العلمي المنظم في ذلك العصر

(١) ابن قتيبة . عيون الاخبار ج ١ . المقدمة . ص ٣٠
(٢) انظر . ابن قتيبة . عيون الاخبار . ج ١ . المقدمة . ص ٣٠

حيث هذب مؤلفه من الاضطراب ، وتداخل المملومات ، او عدم تجانسها ،
فتميز من حيث منهج التأليف عن الكتب التي تناولت الوانا من المعرفة ففى
ذلك المصر " كالبیان والخبير " للجاحظ ، و " الكامل " للمبرد .

وقد حشد ابن قتيبة فى هذا الكتاب كثيرا من الاشعار المشاكلة لتلك
الاخبار التى انتظمها الكتاب فى جميع اجزائه .

ولما كان غرض ابن قتيبة ان يجمع فى كتاب عيون الاخبار من كل فن من
فنون المعرفة فقد دعاه ذلك الى ان يأتى بختفة موجزة عن الشعر ، وذلك فى كتاب
العلم والبيان من هذا الكتاب ، تحدث فيها عن اهمية الشعر بين فنون الكلام
حيث قال فى وصف الشعر : " الشعر معدن علم العرب ، وسفر حكمتهم
وديوان اخبارها ، ومستودع أيامها ، والسور الضروب على مآثرها ، والخندق المحجوز
على مفاخرها ، والشاهد المدل يوم النفاذ ، والحجة القاطمة عند الخصام ،
ومن لم يقم عندهم على شرفه ، وما يدعيه لعلفه من المناقب الكريمة والفعال الحميدة
بيت منه ، شذت مساعيه وان كانت مشهورة ، ودرست على مرور الايام وان كانت جساما ،
ومن قيدها بقوا فى الشعر ، وأوثقها بأوزانها ، وأشهرها بالبيت النادر ، والمثل السائر
والمعنى اللطيف ، أخلدها على الدهر ، وأخلصها من الجحده ، ورفع عنها كيد
المدو ونقض عين الحسود " (١)

(١) ابن قتيبة " عيون الاخبار " ج ٢ ص ١٨٥ .

ثم تحدث عن أهمية الصنعة في الشعر ، وعن بعض الوجوه التي يختار الشعراء عليها ويحفظ ، كالإصابة في التشبيه وحسن الابتداء ، وهي أمور قد أشبعها بحثا في كتاب الشعر والشعراء ، وأما عرض لها في عيون الأخبار ، لأنه قد التزم بأن يجمع في كتابه هذا من كل فن من فنون القول . وقد قال متحدثا عن السبب الذي دفعه أن يورد تلك النبذة الموجزة عن الشعر : " وذكرت هذه التنفـسة في هذا الكتاب كراهية أن أخليه من فن من الفنون " .^(١)

ولقد كان مزج الثقافة العربية في هذا الكتاب بالثقافات الأجنبية المختلفة واضحا وجليا . فابن قتيبة عندما يتناول موضوعا ما ، يورد ما قيل عن ذلك الموضوع من أخبار في أمة من الأمم ، ثم يذكر ما لدى الأمم الأخرى في نفس الموضوع فهو مثلا إذا تحدث عن السؤدد عند العرب أتبعه ذكر السؤدد عند الممجم . فقد أورد قول الأحنف بن قيس في السؤدد ، وأقوال غيره من سادات العرب ، ثم أعقبه^(٢) بالحديث عن السؤدد نقلا عن كتاب للهند . وهكذا ما يساعد القارئ بأن يوازن أو يفاضل في يسر وسهولة بين تلك الأخبار والأقوال .

(١) ابن قتيبة . عيون الأخبار . ج ٢ . ص ١٨٥ .

(٢) انظر المصدر السابق . ج ١ ص ٢٣٩ - ٢٣١ .

(٣) انظر المصدر السابق . ج ١ . ص ٢٣١ .

ولهذا نرى ابن قتيبة في كتابه هذا ينقل عن العرب والمجم والهند ، كما
أكثر النقل عن التوراة والانجيل ، وذلك استطاع أن يجعل من كتابه هذا صورة صادقة
لامتزاج الثقافة العربية بالثقافات الأجنبية التي عرفها مصر العباسي .

٤- كتاب المعاني الكبير :-

ذكره أكثر من ترجموا لابن قتيبة . وقد تم طبعه بمطبعة مجلس دائرة المعارف
المثمانية بحيدر آباد بالهند سنة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م . بتصحيح عبد الرحمن
بن يحيى اليماني . وقد ظهر الكتاب في ثلاثة مجلدات اشتملت على سبعة أجزاء . وقد
أشار مصححه الى ان الكتاب ينقصه بعض الأجزاء التي لم يشر عليها بمد . فالمعروف
عن ابن قتيبة أنه قد صدر كُتبه التي وصلتنا جميعها بمقدمات يرسم فيها منهجه وفرضه
من التأليف . أما كتاب المعاني فقد خرج متورا بدون مقدمة . حيث بدأه مباشرة
بقوله : " قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . انشدني الرياشي
(١)
عن الأصمعي عن أبي عمرو بن الملاء لأبي دؤاد الأيادي هذه الأبيات . " ثم
أورد بيتين في وصف سرعة الخيل بدون عنوان لها . ثم ان الجزء الرابع من
الكتاب ناقص من أوله وقد أشار مصححه الى أن الورقة الأولى من نسخة الأصل
قد نزلت . كما ختم الكتاب بأبيات في مقام الاخلاق وكانت تلك النهاية تدل أيضا

(١) ابن قتيبة . كتاب المعاني الكبير " طبعة حيدرآباد ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م)

على وجود نقص في الكتاب حيث اختتمه بقوله " ثم ابدا فقال " (١) ولم يذكر
المقول .

ويعتبر كتاب المعاني الكبير من أضخم كتب ابن قتيبة وأجلها فائدة ، وقد
عالج ابن قتيبة في هذا الكتاب ناحية واحدة هي شرح غريب الشمر وما خفى من معانيه
وهو في ثنايا هذا الشرح يسوق شواهد شمرية كثيرة وذلك اشتمل الكتاب على كثير
من اشعار المعاني التي جهد المؤلف في تفسيرها فجمع بذلك مادة غزيرة من الادب -
واللغة والشمر . وقد انتظمت تلك المادة في اجزاء مرتبة وبهية ضمت الاجزاء التالية :-

١- كتاب الخيل

٢- كتاب السباع .

٣- كتاب الطعام والضيافة .

٤- كتاب الذباب .

٥- كتاب الوعيد والبيان .

٦- كتاب الحرب .

٧- كتاب الميسر وغيره .

وقد امتازت هذه الاجزاء بالترتيب والتنظيم والتسلسل في ايراد الموضوع ومعالجة
مسائله البارزة . كما اورد المؤلف كثيرا من الاشعار التي قيلت في هذه الابواب

(١) ابن قتيبة . كتاب المعاني الكبير " طبعة حيدرآباد ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩ م " ص ٢٧٠ .

وتناولها بالشرح المستفيض الذي دل على قدرته ومكانته في علم اللغة ومعرفة بشعر

العرب وأسرار كلامهم *

هـ - كتاب الشعر والشعراء ١ -

ويبدأ ابن قتيبة قسمه قسمين : القسم الأول . ويمثل مقدمة الكتاب التي

حشد فيها نظراته النقدية حيث تناول فيها الحديث عن أقسام الشعر وطبقاته

وعيوبه * وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها إلى جانب تناوله بعض القضايا

النقدية الهامة .

وقد أشار ابن قتيبة إلى أن تلك المقدمة النقدية تمثل الجزء الأول من هذا الكتاب

حيث تحدث في هذا الكتاب كما يقول : " عن أقسام الشعر وطبقاته * وعن الوجوه التي

يختار الشعر عليها ويستحسن لها إلى غير ذلك مما قدمته في هذا الجزء الأول " (١) وذلك

يبدأ ابن قتيبة قد قصد باللفظ الأول من عنوان الكتاب وهو " الشعر " هذا

القسم الأول . أما القسم الثاني . وهو تراجم الشعراء فكانه قصد به اللفظ الثاني

من العنوان وهو (الشعراء) وقد أخبرني هذا القسم عن الشعراء * وأزمانهم

واقدارهم وأحوالهم في أعمارهم وقبائلهم وأسماء آبائهم . ومن كان يعرف باللقب أو بالكنية

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٥٦ .

منهم • وما يستحسن من اخبار الرجل ويستجد من شعره • وما اخذته العلماء عليهم من الفلط والخطا في الفاظهم أو معانيهم • وما سبق اليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون • " وقد ضم الكتاب بين دفتيه مادة نقدية قيمة • وأخرى أدبية واسعة • حيث ترجم لعدد كبير من الشعراء • وأورد الكثير من اشعارهم • وليس من اليسير الاطمئنان الى أن كتاب الشعر والشعراء قد وصلنا كاملا كما كتبه ابن قتيبة • وهذا ما لاحظته الأستاذ السيد احمد صقر عندما تناول نقد الكتاب في اظهار بعض الملاحظات حصول تحقيق الأستاذ احمد محمد شاكر (١) ولعل أهم ما يلاحظ على الكتاب أنه قد وردت ترجمتان متاليتان لأكثر من شاعر تختلف كل واحدة منهما عن الأخرى في الأسلوب وفي طريقة العرض مما يشير شكوكا في أن الكتاب قد دخله بعض الخلط من ايدي النساخ • وربما أدى ذلك الخلط الى نقص غير قليل في الكتاب •

-
- (١) ابن قتيبة • الشعر والشعراء • ج ١ • ص ٥٩ .
 (٢) انظر المصدر السابق • نقد الأستاذ السيد احمد صقر ص ٧ - ٩ .
 (٣) انظر في ذلك ترجمة كل من • امرئ القيس - ج ١ • ص ١٠٥ و ص ١١٤ •
 وزهير بن ابي سلمى ج ١ • ص ١٣٧ • و ص ١٤١ • والتابضة الذبياني ج ١ • ص ١٥٧ • و ص ١٦٣ • والمثلث ج ١ • ص ١٧٩ / و ص ١٨١ • وطرفة بن العبد ج ١ • ص ١٨٥ • و ص ١٨٨ • وأوس بن حجر ج ١ • ص ٢٠٢ • و ص ٢٠٥ • والمرقس الأكبر ج ١ • ص ٢١٠ • و ص ٢١٢ • والمرقس الأصغر ج ١ • ص ٢١٤ • و ص ٢١٦ • وعلقة الفحل ج ١ • ص ٢١٨ • و ص ٢١٩ - ٢٢٠ • وهدي ابن زيد ج ١ • ص ٢٢٥ - و ص ٢٢٨ •

وهناك ناحية أخرى جديرة بأن يلتفت إليها ، وهي أن المعروف عن ابن قتيبة أنه حسن الترتيب والتنظيم في كل كتبه التي وصلتنا . غير أنه في ترجمته للشعراء في هذا الكتاب لم يلتزم منهجا مينا . فهو لم يلتزم التاريخ الزمني في الحديث عن الشعراء ، ولم يلتزم تقسيم الشعراء إلى طبقات أو مدارس أدبية ، فهو يتحدث عن شعراء جاهليين ثم عسـن شعراء مخضرمين أو اسلاميين ، ويمود ثانية ليترجم لآخرين جاهليين . فقد بدأ الحديث بامرئ القيس حتى اذا ترجم لسلامة بن جندل اتبعه الحديث عن لبيد بن ربيعة ، وزيد الخيل ، والنايفة الجمدى ، ثم عاد لترجم لمهمل بن ربيعة وهو جاهلي ، ثم عقب على ذلك بالحديث عن المباس بن مرداس . وقد كانت له بعض المحاولات في أن يترجم لأصحاب الفن الشعري الواحد على نسق واحد ، إلا أن تلك المحاولات لم تكتمل . إذ يتحدث عن شاعرين أو ثلاثة أو أكثر ممن أصحاب الفن الشعري الواحد ، ويتبع ذلك الحديث عن شعراء آخرين يختلفون معهم في الفن ، ثم يمود فيذكر بعض شعراء ذلك الفن السابق الذي أورد بعض شعرائه وهكذا . ومن ذلك أنه تحدث عن ستة من شعراء الرجز وهم . المجاج ، وابنه رؤبة ، وأبي نخيلة وأبي النجم الراجز ، ودكين الراجز ، والأغلب الراجز ثم اتبع ذلك الحديث عن شعراء كثيرين لا يتفقون معهم في هذا الفن ، ومع أن سـرد

سير أكثر من ثلاثين شاعرا عاد الى فن الرجز ليتحدث عن عمر بن لجأ
الراجز ،

وواضح أن ابن قتيبة بهذا التقديم والتأخير لم يلتزم منهجا
واضحا في ترجمته للشعراء وهذا ما لا يتلاءم مع ما عرفت عنه من دقة
الترتيب والتنظيم في كل مؤلفاته .

ولذلك فقد يكون ذلك التقديم والتأخير من عمل النساخ
الذين شوهوا ترتيب الكتاب فأوردوا مثلا ترجمتين متاليتين لبعض
الشعراء الذين ورد ذكرهم في كتاب الشعر والشعراء .
ويبدو من استمرارنا للنقد في مؤلفات ابن قتيبة الأدبية ، أن كتاب
" الشعر والشعراء " هو الكتاب الذي يمثل الجانب النقدي عنده .

فقد حشد في مقدمة هذا الكتاب نظراته النقدية التي تناول فيها
الحديث عن أقسام الشعر ، وطبقاته ، وعبوته ، ومن الوجوه التي يختار
الشعر عليها ويستحسن لها ، ثم عالج بعض القضايا النقدية الهامة ، كفضيلة
المتكلم والمطبوع ، وفضيلة القديم والحديث ، وأضاف إليها بعض النظرات
النقدية التي انفرد بها ، كما اهتم بالشاعر وأولاه عناية كبيرة .

ومن هنا فإن دراسة ما تضمنه هذا الكتاب من نظرات نقدية تعتبر دراسة
شاملة لموقفه النقدي كله ، لأن ما ورد من هذه النظرات في غيره من مؤلفات ابن
قتيبة هو على قلته قد ضمنه في الشعر والشعراء لأنه ورد في هذه المؤلفات غير
مقصود لذاته . ولهذا فسوف نقصر الفصول التالية على كتاب الشعر والشعراء . . .

(الباب الثاني)

نقد الشعر عند ابن قتيبة

(الفصل الأول)

=====

لغة الشعر

كان العرب يتكلمون لفتهم بالطبع دون تعلم أو دراسة . وكانت لغة البعيدين منهم عن بلاد الاعاجم أفصح مما عداها ، كما هو الحال بالنسبة للغة قريش ومن جاورهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وغيرهم ، فلما جاء الاسلام واختلط العرب بالاعاجم بدأت تفسد تلك الملكة ، فدعت بالحاجة الى وضع قواعد للغة العربية لحفظها من اللحن ، فوضع علم النحو ، وجمعت الفاظ اللغة العربية صيانة لها من الضياع ، ومزج بين اساليب العرب الفصحاء ، والمولدين والدخلاء .

على أن اللغة العربية التي أشرت عن العصر الجاهلي لم تعد سهلة الالفاظ بالنسبة للعرب بعد الاسلام . فقد ألحقت الحضارة والاختلاط بالأجانب اللغة العربية ، وجنحت بها الى السهولة واليسر ، حتى أصبحت لغة الهداوة بميلها المجهود الى الخشونة غريبة الالفاظ لا تفهم الا بالدراسة وطول النظر .

ولما كانت اللغة هي مادة الأدب الأولى فقد كانت موضع اهتمام كبير من النقاد العرب ، إذ أخذوا يقومون العمل الأدبي على أساسها

فمرفوا طرق الشمراء ومذاهبهم في التعبير ، ورأوا أن منهم
من كان يحتز من بعض الضرورات والعيوب التي تقلل من قيمة
الشمر الفنية ، كزهير بن أبي سلمى السدي " كان لا يماطل
بين القول ، ولا يثبح حوشى الكلام ، ولا يمدح الرجل إلا بما
هو فيه . (١) "

فكلام الناس لم يكن في طبقة واحدة ، وإنما كان منه الجازل
الرصين ، ومنه الحسن المستنذب ، ومنه الحوشى الفث . وكان النقاد
أرادوا من الشمر أن يحرس على لغة أسمى وأفصح من لغة
النثر ، لا ابتذال فيها ولا غرابة ، ولذلك استهجنوا الأسلوب الحوشى
" إلا أن يكون المتكلم بدوياً أعرابياً فان الحوشى من الكلام يفهمه
الحوشى من الناس كما يفهم السوقى رطانة السوقى . (٢) " فجعلوا
للشمراء الفاظاً معروفة تتناسب مع ظروفهم التي تحيط بهم وموضوعاتهم
التي يتناولونها بالتعبير . وأمثلة مألوفة يجرون في مدارها
ولا يخرجون عنها إلا نادراً .

وقد ألح ابن قتيبة إلى أهمية تلك اللغة ، فكانت لغة طيبة منه ،

(١) ابن قتيبة . الشمر والشمراء . ج ١ . ص ١٣٨
(٢) الجاحظ . البيان والتبيين . ج ١ . ص ١٧٠ - ١٧١

وفكرة جديدة في ميدان النقد ، حيث اهتم بتلك القضية وأوصى
الشاعر المحدث ألا يقلد لغة المتقدمين الذين مالوا إلى استعمال
التركيب الحوشية النادرة التي تمثلها وحشة الهداوة وظلّة الأعيراب
ولا يستعمل أيضا اللغة القليلة التي لم تنتشر بين العرب :

ويبدو من ذلك أنه كان شديد الحرص على فصاحة لغة الشعر حيث يقول :

" وليس للمحدث أن يتبع المتقدم في استعمال وحش الكلام الساذي
لم يكسر ، كتفسير من أثنية سيويه ، واستعمال اللغة القليلة فسي
العرب ، كأبداهم الجيم من اليماء كقول القائل :

(١)

" يا رب ان كنت قبلت حجتي " يريد حجتي .

وقد ضرب ابن قتيبة أمثلة كثيرة على ذلك ، وعلى الشاعر أن يتجنب
ذلك الوحش الفث ، والاستعمال القليل ، حتى وإن طرقة بمحض
كبار الشعراء القدماء ، لأن لكل جيل لغته ومصطلحاته ، واشتقاقات
اللغوية ، فهناك كثير من الألفاظ والتراكيب يصيها الركسود قس
تستعمل في زمن دون آخر ، وعلى الشاعر أن يحتاط لذلك كله
، فلا يختار إلا ما سهل من الألفاظ والتراكيب وكان بعيدا عن
التعقيد والاستكراه .

وهذا القدر من الاهتمام بقضية لغة الشعر عمل جليل من ابن
 قتيبة يدل على أنه أراد من ذلك فصاحة لغة الشعر ، والرقى
 بها وتخليصها من بعض ما يعوق مهمتها .

الفصل الثاني

عيوب الشعر

لم يكن الشعر في درجة واحد من القوة والحسن ، فمنه ما هو حلو مستعذب ، ومنه ما هو عث مستكره ، ولهذا أولع النقاد العرب بجمال التعبير ، واصابة المعنى ، وميزوا جيد الكلام من رديئه ، وحاولوا أن يدفعوا الشعراء الى أن يرتقوا بلغة الشعر ويهذبوها ، وينقحوها ، فكانت قصود ما غت وردل منه ، وجبذوا ما حسن وفخم ، وجهدوا في ابراز عيوب الشعر المتصلة بالصياغة أو الاعراب وأدركوا حناعة الشاعر الى اللام بالاوزان الشعرية ، ليكون شعره سليم الوزن ، وعرفوا ان الشعراء قديما وحديثا لا يخلو شعرهم من بعض تلك الميوب المتصلة به ، فحاولوا جاهدين تخليصه منها .

وقد شارك ابن قتيبة النقاد في تخلص الشعر مما قد يملق به من تلك الميوب التي تقلل من قيمته الفنية ، فحاول أن يبرز الميوب المتصلة بالصياغة من حيث سلامة الوزن ، واعتدال القوافي وصحتها ، غير ان النقاد قبله اشبعوها بحثا ، لانها كانت تمثل جزءا من الدراسات المروضية التي تناولها النقد في القرنين الاول والثاني .

وابن قتيبة في محاولته تلك لم يأت بشئ جديد فيما يتصل بعيوب القافية ، وإنما عمد الى نقل آراء العلماء في الاقواء ، والسناد ، والايلاء ، والاجازة .

(١) فالاقواء : هو اختلاف اعراب القوافي ، كان تكون قافية مرفوعة وأخرى مخفوضة

أو منصوبة ، وكان النابغة البياضي وشعر بن أبي خازم معين وقع ذلك في شعرهم
(٢) قال النابغة :

قالت بنو عامر خالو ابني أسد * يابؤس للجهل ضاررا لأقوام

وقال فيها :

تبد وكواكبه والشمس طالمة * لا النور نور ولا الاظلام اظلام

وقد كان " الاقواء " و " الاكفاء " موضع خلاف بين النقاد العرب ، فبعضهم يرى
أن " الاكفاء " هو اختلاف في اعراب القوافي وأن " الاقواء " نقصان حرف من فاصلة
البيت ، كقول جبل بن نضلة :

حنت نوار ولات هنا حنت * ويدا الذي كانت نوار أجنت

لما رأت ماء السلا مشروبا * والفرث يمصر في الاناء أرنت

" سمى اقواء " لانه نقص من عروضه قوة ، وكان يستوى البيت بأن يقول " متشربا " الا أن

أكثر النقاد يرون أن الاقواء هو الاكفاء بعينه ، يقول ابن سلام " الاكفاء هو الاقواء

مهموز وهو أن يختلف اعراب القوافي " (٤) وقد أخفر للاعراب لأنهم لم يأنسوا به

(٥)

ولم يفتقر للمحدثين لأنهم عرفوا عيبه .

(١) انظر ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ . ص ٩٥ .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٩٥ .

(٣) المصدر السابق . ج ١ : ٩٦ .

(٤) المرزباني : الموشع : ص ٢١ .

(٥) انظر المصدر السابق : ص ٢١ .

والسناد :- عرفه ابن قتيبة فقال : " هو أن يختلف أرداد القوافي " (١) ولم يوضح الاختلاف ، أهو في الأرداد نفسها أم في حركاتها ، إلا أننا نلخص من تطبيقه أنه يريد بالسناد : اختلاف حركة الردف كما يبدو من تشيله بأبجيات عمرو بن كلثوم .

" ألا هبى بصحنك فاصبحينا / فقد أتى الردف مكسورا وهو حرف الحاء (٢)
تصفقها الرياح إذا جرينا / فالراء مفتوحة وهي بمنزلة الحاء " (٣)

فالردف يقع قبل حرف الروى مباشرة وليس بينهما شئ . وعلى هذا اعتبر
" اليا " حرف روى للبيتين ، وهذا خطأ منه . إذ أن حرف الروى هو حرف
" النون " وليس حرف " اليا " الذى هو الردف بمعنىنه ، ومن هنا يتضح أنه أراد -
بالسناد : اختلاف حركة الردف لكنه لم يهتم إلى معرفة الردف في البيتين اللذين
أوردهما .

(٤)
أما الأخطاء :- فهو " إعادة القافيه مرتين " بدلالة معنوية واحدة ، وهو
عند ابن قتيبة أقل عيبا من الألفاء والسناد والإجازة . وهو كقول أبى ذؤيب
فى بنيه (٥) :

سبقوا هوى وأعتقوا لهواهم * فتخرموا ولكل جنب مصرع
ثم قال فى صفة الثور والكلاب :

فصرعته تحت المجاج فجنيه * مشرب ولكل جنب مصرع

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٩٦ عرف ابن رشيق " السناد " : بأن المشهور فيه الحذو وهو " اختلاف حركة ما قبل الردف " انظر العمدة " مصر ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م ج ١ ص ١٦٧ وقال المزماني : السناد : اختلاف كل حركة قبل الروى : " الموشح " : ص ١٤ (٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج ١ ص ٩٦ (٣) انظر الفيروز ابادى : القاموس المحيط : طبعة الحلبي بمصر ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م ج ٣ : ص ١٤٨ .

(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٩٧

(٥) ابن رشيق : العمدة : ج ١ : ص ١٢٠

وأخيرا أورد ابن قتيبة بعض آراء العلماء في الإجازة ، حيث رأى بعضهم
" أن تكون القوافي مقيدة فتختلف الـرداف ^(١) . وقصدوا باختلاف
حركتها كقول امرئ القيس :

" لا يدعى القوم أنى أفر . / فكسر الـردف ، وقال في بيت آخر :
وكدة حولي جميعا صبر . / فضم الـردف ، وقال في بيت آخر :
الحقت شرا بشر . / ففتح الـردف ^(٢) .

الا أن الخليل بن أحمد يقول في الإجازة : " أن تكون قافية ميمًا
والأخرى نونا . . أو طاء ^(٣) والأخرى دالا ^(٤) . وذلك راجع إلى تقارب الحروف
في مخارجها كقول الشاعر :

تالله لولا شيخنا عبـاد * لكمرونا عندهما أو كبادوا .
فرشط لما كره الفرشـاط * بفيشة كأنها ملطـاط .

هذا كل ما جاء به ابن قتيبة في عيوب القافية ، نقل بعض آراء النقاد الذين
سبقوه بأمانة علمية ، دون أن تكون له شخصية بارزة في معالجة تلك الميـوب .

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٩٧

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ٩٧

(٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ٩٧

(٤) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٩٧

غير أن ابن قتيبة لم يقف عند هذا الحد بل حاول أن يبرز بعض الميوب المتصلة
بالاعراب ، والضرورات التي يلجأ إليها الشاعر كتسكين متحرك ، أو تحريك ساكن
أو قصر مدود ، أو المكس وصرف ، ما لا ينصرف ، وترك الهمز مع الميموز . فقد
يضاير الشاعر فيمكن ما كان ينبغي له أن يحركه .^(١) كقول امرئ القيس :^(٢)

فاليوم أشرب غير مستحقب * اثما من الله ولا واغسل

سكن آخر الفصل " أشرب " للتخفيف .

وقد عاب على الشاعر اللجوء إلى الضرورات في حالة استطاعته إقامة الوزن ، إذ لا
يعد ذلك ضرورة يلجأ إليها الشاعر كقول الهذلي :^(٣)

بيت على معاري فاخرات * بهن ، لوب كدم المباط

فلم ير ابن قتيبة في البيت ضرورة يحتاج الشاعر إلى أن يترك صرف " معار " إذ لو
قال " معار " لكان الشعر موزوناً والاعراب صحيحاً ، ويقول ابن قتيبة أن سيويه
احتج بالبيت في كتابه على أن فيه ضرورة مع خلوه منها . كما عاب ابن قتيبة
على الشاعر مد المقصور ، ومنع المصروف ، وهمز غير الميموز ، واغفر له قصر
المدود ، وصرف غير المصروف مع الضرورة ، وترك الهمز مع الميموز وهو كثير .^(٤)

(١) ابن قتيبة " الشعر والشعراء " ج ١ : ص ٩٨ .

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٩٨ .

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٩٩ .

(٤) انظر المصدر السابق ج ١ : ص ١٠١ .

على أن ابن قتيبة قد حرص على أن يتوفر للشعر عنصر هام من أهم عناصره وهو عنصر الموسيقى ، حيث حذر الشاعر من أن يسلك الأساليب التي لا تصح في الوزن ، ولا تخلو في الأسجاع ، إذ الوزن أحد أركان الشعر ، لذا يجب أن يستقيم ، وأن يخلو من الاضطراب ، ومن كثرة الزخافات التي تهجن الشعر وتحط من قدره ، وأن يشتمل على جمال النغمة وحسن الإيقاع .

هذا ولم يقف حرص ابن قتيبة على الارتقاء بصياغة الشعر عند هذا الحد ، بل تعداه إلى أن بين أمارات الشعر الفث ، المستكره العمل ، وذلك في محالجه لقضية المتكلف والمطبوع من الشعر ، وأوصى الشاعر المحيّد أن يعتمد عن استعمال الألفاظ الوحشية واللغة النادرة في العرب .^(١)

كما قدم في ثنايا كتابه الشعر والشعراء " عيونا أخرى لا تتعلق بالعيوب الشكلية في الشعر كعيوب القافية والأعراب مثلا ، وإنما تتصل بثقافة الشاعر ومدى ادراكه لما يحيط به من الأمور التي يتناولها في شعره ، وتحفظه من تلك الأخطاء التي قل من لا يقع فيها من الشعراء ، غير أنه لم يهتد إليها بنفسه وإنما سبق إليها من العلماء قبله ، حيث جمعوا ما أخذوه على الشعراء من الفلظ والخطأ ، وأشار هو إلى ذلك في مقدمة الكتاب حيث يقول : " هذا كتاب الفته في الشعراء أخبرت فيه عن الشعراء وما أخذته العلماء عليهم

(١) انظر في ذلك الفصل السابق .

(١)

من الفلظ والخطأ في الفاظهم أو معانيهم

ومن ذلك ما أخذوه على الشعراء من استعمالهم اللفظ لغير ما وضع

له كقول المتلمس :

(٢)

وقد أتت أساليبهم عند احتضاره * بناج عليه الصيمرية مكدم .

عابوا عليه استعماله لفظ الصيمرية صفة للفحل ، وهي إنما تكون للناقصة

كما عابوا على حميد بن ثور الهلالي قوله :

(٣)

لما تخالفت الحمول حسبثها * دوما بأيلة ناعما مكمومها

حيث جمل الدوم الذي هو شجر العقل يكم - غير أن ذلك لا يكون إلا للنخل

(٤)

قال الله تعالى في صفة الأرض " فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام "

وقد رأوا أن من المسماني ما هو مستقيم حسن ، ومنها ما خرج عن الصحة

فأفسد على الشاعر ما أراد - ولذلك وقع بعض الشعراء في غلط المعاني كزهير بن

أبي سلمى في قوله يذكر الضفادع :

(٥)

يخرجن من شربات ماؤها طحل * على الجذوع يخفن الخم والفرقا

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٥٩

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٨٣ وانظر : العسكري . الصناعين " مصر

١٣٧١هـ / ١٩٥٢م " ص ٨٥

(٣) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٣٩٣

(٤) سورة الرحمن . آية ١١ .

(٥) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ١٥١ وفي الموضع " يخفن الخمر " :

ص ٤٤

فقد عابوا ذلك عليه ، وقالوا : ان خروج الضفادع من الماء انما لالتماسها الشطوط
لتبيس هناك ، وليس لخوفها من الغم والفرق كما ذكر .
(١)
وعابوا على طرفة ايضا قوله يمدح قوما :

أسد غيل فاذا ما شربوا * وهبوا كل أمون وطمر

ثم راحوا عبق المسك بهم * يلحفون الارض هدايا الازر .

فقد قرن عطاءهم بحال سكرهم ، وانهم انما يهبون اذا تفتيت عقولهم ، ولم يشترط
لهم ذلك في صحوهم ، وهذا اشبه بالذم منه بالمدح ، لان السكران لا يدرك من
تصرفه شيئا . وقد أراد من الشاعر ان يجعل لكل مقام مقالا ، فلا يمدح الملوك
بصفات من هم اقل منهم منزلة ، كما يمدح السوق بصفات الطك ، ولذلك عابوا
على الاخطل قوله يمدح عبد الملك بن مروان :

(٢)

وقد جعل الله الخلافة منهم * لأبيض لا عارى الخوان ولا جذب

فمدحه بحسن الضيافة والقرى وهذا مما لا يمدح به الملوك .

كما انتقصوا في الشعر الافراط ، والفلفوف البالغة ، والابتعاد عن الواقع ، وحذوا
فيه موافقته لمقتضى الحال ، فعايبوا على التمرين تولب قوله في وصف سيف :

(١) المصدر السابق لابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ : ص ١٩٤ وانظر

الموشح : ص ٥٢ .

(٢) المصدر السابق : ج ١ ص ٤٨٧ وانظر في ذلك الموشح : ص ١٢٨ والصناعين
: ص ٧٥ .

(١) تظل تحفر عنه ان ضربت به * بمعد الذراعين والساقين والهادى .

فذكر انه ضرب به فقطع المضروب ، وفاس في الارض ، حتى احتاج الى ان

يحفر عنه ، وقالوا : ان غذا من الافراط والكذب .

هذا ولم يتساهل العلماء في مخالفة الحقائق ، أو الواقع لفير دواع فنية

لان ذلك ينم عن تقصير الشاعر ، وضعف ثقافته ، وجهله بعض تلك الحقائق ،

أو وقوعه أحيانا في الفلط كما يرى القيس في قوله :

(٢) اذا ما الثريا في السماء تعرضت * تمرض أثساء الشراح الفصل .

اعترض العلماء عليه وقالوا : الثريا لا تمرض لها ، والتص له بعضهم غذا فقالوا :

انما أراد الجوزاء ، فذكر الثريا على الفلط .

ومما تقدم يتضح لنا أن ابن قتيبة في معالجته لبعض الميوب الشكلية في

الشعر ، انما أراد ان يخلص الشعر العربي من بعض تلك الميوب التي تقلل

من قيمته الفنية ، والا يسلك الشاعر " الاساليب التي لا تنح في الوزن ولا تحلو

في الاسماع " (٣) وأن يختار " أحسن الروى ، وأسهل الالفاظ ، وأبعدها من -

(٤) التعميد والاستكراه ، وأقرسها من افهام الموام " . وهذا حرص على

اصلاح لغة الشعر والارتقاء بها عن وحشة البداوة ، وظلظة الاعراب .

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٣١١ .

(٢) المصدر السابق ج ١ : ص ١١١ .

(٣) المصدر السابق ج ١ : ص ١٠٢ .

(٤) المصدر السابق ج ١ : ص ١٠٣ .

وقد بدا في معالجته للميوسب الهرايبية عالما متمكنا من اللغة ، واسع الاطلاع يدل على ذلك موقفه من احتجاج سيويه ببيت من الشعر في نسق الاسم المنصوب على المخفوض ، حيث يقول : " وقد رأيت سيويه يذكر بيتا ، يحتج به في نسق الاسم المنصوب على المخفوض ، على المعنى لا على اللفظ ، وهو قول الشاعر :

مماوى اننا بشر فأسجح * فلنا بالجيال ولا الحديد
قال : كأنه أراد : لنا الجيال ولا الحديد ، فرد الحديد على المعنى قبل دخول " الباء " وقد غلط على الشاعر لان هذا الشعر كله مخفوض ^(١) وقد أورد ابن قتيبة بعد ذلك بيتين ليثبت أن القافية مخفوضة وهما قول الشاعر : ^(٢)

فهبها أمة ذهبت ضياعا * يزيد أميرها وأبو يزيد
أكلتم أرضنا وجردتموها * فهل من قائم أو من حصيد
أما فيما قدمه من مآخذ العلماء على الشعراء ، فانه لم يطمئن الى صحة كل ما قدمه فحاول أن يرد بعض تلك المآخذ ، وثبت صحة ما قاله الشعراء من ذلك ما نسبوه الى الكذب من قول عدى بن زيد العبادي : ^(٣)
رب ناربت أرمقها * تقضم الهندي والغارا .

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٩٨ - ٩٩

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ٩٩

(٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ٢٣٢

يريد بالهندي : العود *

فقد رأى ابن قتيبة أن في حكمهم هذا جورا ، وأنهم لم يهتدوا الى مراد الشاعر ، ورد عليهم بقوله : " وليس هذا عندي كذبا ، لانه لم يرد أنه يوقدها بالعود ، وإنما

أراد أنها توقد بالفار ، وهو شجر ، وتلقى قطع العود على ذلك للطيب " (١)

ومن ذلك أيضا ما عابه الملماء على المسيب بن عيسى ، في قوله يصف الناقة :

(٢)
وكان غارسها رباوة مخرم * وتمد ثني جديد لها بشراع *

فقالوا : انه خلط بين الدقل والشراع ، والدقل هو الخشب التي يمد عليها

الشراع في وسط السفينة ، ولم يرا ابن قتيبة في ذلك غلطا ، فقال : " وليس

هذا عندي غلطا ، والشراع يكون على الدقل ، فسمى باسمه ، والصرب تسمى

(٣)
الشيء باسم غيره ، اذا كان معه وسببه " *

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : جزء ١ : ص ٢٣٤

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٧٧

(٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٧٨

الفصل الثالث

(قضية اللفظ والمعنى)

~~~~~

شارك ابن قتيبة غيره من النقاد القدامى الذين تحدثوا عن اللفظ والمعنى باعتبارهما من قضايا النقد المرمى . وهذه محاولة للوقوف على تصور النقاد للفظ والمعنى باعتبارهما قيمتين أساسيتين في الشعر ، وتطور هذا التصور وتنوع البحوث التي تناولت القضية .

فالنقاد القدماء لم يقصدوا باللفظ دائما اللفظ المفرد ، وإنما قصدوا تركيب اللفظ في جملة مفيدة تشاكل تلك المبارات التي يتكون منها العمل الأدبي ليصبح وحدة متكاملة ، يتسم بالتنسيق والترابط بين أجزائه ، كما أنهم لم يقصدوا بالمعنى دائما دلالة اللفظ المفرد ، بل نظروا الى المعنى على أنه ما دل عليه مجموع التركيب اللفظي ، إلا أنهم في معالجتهم لهذه القضية انقسموا الى ثلاث طوائف : فمنهم من آثر اللفظ على المعنى ورآه اعظم قيمة منه ، وآخرون قدموا المعنى على اللفظ وأرجعوا ميزة الشعر اليه وحده ، وفريق ثالث حاول أن يقف موقفا وسطا وأن يسوى بين اللفظ والمعنى في الأهمية .

ولقد احتفل فريق منهم بالمعنى متى كانت صحيحة حسنة رائقة ، وكان ذلك مطلبهم ، وهذا لا يعنى اطراحهم اللفظ جانبا ، وإنما اهتمامهم بالمعنى يعنى تقديمه على اللفظ ، ودون اغفال للفظ ، إذ جعلوا له منزلة تلى منزلة المعنى ، وقد كان أبو عمرو بن الملاء الذى استحسنت

(١)  
قول الشاعر :

لا تحسبن الموت موت البلى \* فانما الموت سؤال الرجال

كلاهما موت ولكن ذا \* أظن من ذاك لذل السؤال .

من رواد أنصار المعنى ، فقد اهتم بالفكرة ، ولم يراع رونق العبارة وجمال الصياغة وقد ذهب هذا المذهب بعمد ذلك ابن الأثير الذي جعل من التائق فنى تهذيب الالفاظ والمناية بها خدمة للمعاني حين يقول : " اعلم أن العرب كما كانت تمتنى بالالفاظ فتصلحها وتهذبها فان المعاني أقوى عندها ، وأكرم عليها ، وأشرف قدرا فى نفوسها . . . فاذا رأيت العرب قد اصلحوا الفاظهم وحسنوها وزققوا حواشيها ، وصقلوا أطرافها ، فلا تظن أن المنايسة اذ ذاك إنما هى بالفاظ فقط ، بل هى ، خدمة منهم للمعاني " (٢) وقد ضرب الشعراء بنصيب وافر فى هذا الاتجاه ، فاهتموا بالمعاني ، ودون مراعاة للالفاظ كإبى الطيب المتنبى ، وابن الرومى ، ومن شاكلهما من أصحاب عمود الشعر .

---

(١) الجاحظ . الحيوان " مصر ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م ) ج ٣ : ١٣١ .  
بلغ من استحسان أبى عمرو الشيبانى للبيتين حين سمعهما " أن كل سيف رجلا حتى احضره دواة وقرطاسا حتى كتبهما له " . وقد علق الجاحظ على ذلك بقوله : " وأنا أزعم أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا أبدا " .  
انظر الجاحظ . الحيوان ج ٣ : ١٣١ .  
(٢) ابن الأثير : المثل السائر " القاهرة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م : ١٤٠ .

(١)

ويقف اللفظيون أو أنصار اللفظ في الجانب الثاني ليتنصروا للصياغة . فقد  
جملوا للفظ المكانة الأولى في النص الأدبي ، وقد ظن كثير من النقاد قديما  
وحديثا أن أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ كان يتصدر هذه المدرسة التي انضم  
إليها جمع كثيرون من نقاد العرب ، فقد فهموا أن الجاحظ لم ير للمعنى دورا —  
كبيرا في العمل الأدبي ، وإنما رأى المصنوع في ذلك على الألفاظ ، حيث  
يقول : " والمعاني مطروحة في الطريق ، يمر بها العجم ، والصربي ، والبدوي  
والقروي ، والمدني ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج  
وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك " . (٢)  
مجموعة الأسلوب لا اللفظ المفرد ، وقد علق على ذلك بقوله : " فأنما الشمر  
صناعة وضرب من النسيج ، وجنس من التصوير " . (٣)  
السابق لم يحط من قيمة المعنى . فالمعاني أدوات أولية تحصل في الذهن

---

(١) حاول الدكتور أحمد أحمد بدوي في كتابه " أسس النقد الأدبي عند العرب "

حاول أن ينكر تقسيم النقاد في هذه القضية إلى لفظيين ومعنويين إذ يقول " أن  
وهما كبير أمك على الباحثين قلوبهم . . . هذا الوهم الكبير هو تقسيمهم نقاد  
العرب قسمين : لفظيين أو أنصار اللفظ . . . وضمون الجاحظ على رأس هذا  
الفريق ، ومعنويين أو أنصار المعنى . . . وضمون على رأس هذا الفريق عبد القاهر  
الجرجاني " وقد انتهى به إنكاره هذا إلى التقسيم بين اللفظ والمعنى . انظر  
في ذلك كتابه السابق القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م ص ٣٦٠ - ٣٦٢ .

(٢) الجاحظ : الحيوان : ج ٣ : ص ١٣١ - ١٣٢ .

(٣) المصدر السابق : ج ٣ : ص ١٣٢ .

عن طريق الأشياء التي نراها ، نجد أن تبلور في ذهن حسب تصوراتنا  
لها ، يبرز عنها بالفاظ تجسد ذلك التصور بحيث يصبح للمعاني  
وجود آخر عن طريق دلالة الالفاظ ، وهكذا يتضح لنا أن الصورة الأولى  
للمعاني باستطاعة كل انسان أن يتناولها ، ولكن المعول على الصورة الثانية  
التي تتكون باقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وجودة السبك ، لأن الشعر صناعة  
وضرب من التصوير ، كما يقول الجاحظ ، فالجاحظ ، لم يقصد باللفظ  
اللفظ المفرد وإنما قصد به ، ذلك الأسلوب الفني للعمل الأدبي السدي  
يجسد الصورة الأدبية . وهذا لا يعني أن الجاحظ قد انحاز إلى  
اللفظ واطرح المعنى ، فهو يرى أن هناك معاني لا يمكن أن تترك ، من  
ذلك وصف عنترة للذباب " فانه وصفه فأجاد صفته فتعاضد معناه جميع الشعراء  
فلم يعرض له أحد منهم ، ولقد عرض له بعض المحدثين ، من كان يحسن  
القول ، فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ومن اضطرابه فيه ، أنه صار دليلاً  
على سوء طبعه في الشعر ، قال عنترة :

جاءت عليها كل عين ثرة \* فتركن كل حديقة كالدريم

فترى الذباب بها يفنى وحده \* هزجا كعمل العارب القترن  
(١)

غليدا يحك ذراعه بذراعه \* فمل المكب على الزناد الاجفم

وهذا دليل على أن الجاحظ رأى أن السرفى المعنى قبل اللفظ ، وهو  
لولا يهتم بالمعنى لما قال : " ينبغى للمتكلم أن يعرف أقدار المعانى  
ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات ، حتى يقسم أقدار  
الكلام على أقدار المعانى " (١) ولهذا فإن المعانى المطروحة عند الجاحظ  
هى تلك المعانى الأولية ، قبل أن يتناولها الأديب بالتعبير ، فيبرزها  
فى المعروض الذى يريد . وعلى هذا الأساس لا يحكم على الشعر الا على  
ضوء ما يحدث فيه من تلك الصور ، لأن المعانى هى مادة الشعر ، ولا يكون  
الشعر الا بتصور هذه المعانى ، فلا يحكم على الشعر بمادته ، وانما يحكم عليه  
بصورته ، وقد التقى قدامة بن جعفر مع الجاحظ فى هذه الفكرة (٢)

وقد فهم بعض أنصار هذه المدرسة بعد الجاحظ أن الفضيلة ترجع  
الى اللفظ وحده ، ومن هؤلاء أبو هلال العسكري الذى يرى أن المعانى مشتركة  
بين العقلاء ، وربما وقع المعنى الجيد للسوق ، والنبتى ، والزنجى ، وانما  
يتفاضل الناس فى الالفاظ ورصفها ، وتأليفها ، ونظمها (٣) فقد أخذ يردد  
أقوال الجاحظ فى اللفظ دون فهم منه لما أراده الجاحظ حيث يقول : " وليس

---

(١) الجاحظ : البيان والتبيين : ج ١ ص ١٦٦

(٢) انظر . قدامة : نقد الشعر " مصر ١٣٦٢ هـ - ١٩٤٨ م " ص ١٣ وما بعدها

(٣) العسكري : الصناعيين ص ١٩٦ .

الشان فى ايراد المعانى ، لان المعانى يعرفها المرى ، والمجى ، والقروى  
واليدوى ، وانما هو فى جودة اللفظ ، وصفائه ، وحسنه ، وسهائه ، ونزاهته  
ونقائه ، وكثرة طلاوته ومائه ، مع صحة السبك والتركيب ، والخلو من اود النظم  
والتأليف وليس يطلب من المعنى ، الا أن يكون صوابا ، ولا يقنع من اللفظ بذلك  
حتى يكون على ما وصفناه من نموته التى تقدمت .<sup>(١)</sup> فهو فى معالجته لتلك القضية  
لم يتنبه للرباط الذى يربط بين اللفظ والمعنى ، وشبهه فى هذا الموقف ابن  
رشيقي القيروانى ، حيث جمع آراء السابقين ومواقفهم بالنسبة لتلك القضية ، ثم  
قال بعد ذلك : " وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى ، سمعت بمضى  
الحذاق يقول : قال العلماء : اللفظ أغلى ثمننا وأعظم قيمة ، وأعز مطلباً ، فان  
المعنى ، موجودة فى طباع الناس ، يستوى الجاهل فيها ، والحاذق ، ولكن  
المعمل على جودة الالفاظ ، وحسن السبك ، وصحة التأليف . " فابن رشيقي<sup>(٢)</sup>  
والمسكى يريان . أن الشأن فى تهذيب الالفاظ مع صحة السبك ، وجودة  
التركيب . وقد تطرف ابن خلدون فى هذه القضية ، فجعل المحول الاول على  
الالفاظ ، وأن المعانى تبع لها وهى فى متناول كل انسان . " وفى طوع كل فكر  
منها ما يشاء ، ويرضى ، فلا يحتاج الى صناعة ، وتأليف الكلام للمباراة عنها .  
المحتاج للصناعة .<sup>(٣)</sup> ولذلك يرى أن صناعة الكلام " انما هى فى الالفاظ لا فى

(١) المسكى : الصناعين : ص ٥٧ - ٥٨ .

(٢) ابن رشيقي : الممدد ج ١ : ص ١٢٧ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ( طبعه مصره بدون تاريخ ) ص ٥٧٧ .

(١)

المعاني ، وانما المعاني تبع لها ، وهى أصل .

وعلى هذا نرى أن كل من انضم الى هذه المدرسة اللفظية لم ينفلوا

المعنى حتى المتطرفين منهم ولكنهم جعلوه ، أقل مرتبة من اللفظ عند من أتى

بمد الجاحظ .

وقد بلغ الاهتمام باللفظ ذروته عند البلاغيين الذين عنوا بالحلية اللفظية

فافتنوا فيها ، اذ رأوا فى ذلك تجديد أو إبداعا .

على أن من نقاد العرب من وقف من تلك القضية موقفا وسطا ، فنظروا الى

اللفظ والمعنى معا ، ورأوا أن البلاغة تكون فى المعانى ، كما تكون فى الالفاظ

فقد يكون الجمال فى النص الادبى من قبل المعنى منفردا ، أو من قبل اللفظ

وحده ، وأحيانا من قبلهما مجتمعين .

وكان بشر بن المعتمر المتوفى سنة ٢١٠ أول من حاول أن يجمع بين اللفظ

والمعنى ، فأخذ ينصح بترك التوعر ، والتكلف ، حيث قال : " وإياك والتوعر

فإن التوعر يسلمك الى التعقيد ، والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ، ويشين

الفاظك ، ومن أراغ معنى كريما فليلتص له لفظا كريما ، فإن حق المعنى

الشريف ، اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ، ويهجنهما

وعما تمود من أجله الى أن تكون أسوأ حالا منك . قبل أن تلتص اظهارهما

وترتبن نفسيك بلاستهما ، وقضاء حقهما <sup>(١)</sup> . وأولى المنازل في رأيه " أن يكون لفظك رشيقا عذبا ، وفخما سهلا ، ويكون معناك ظاهرا مكشوقا ، وقريبا معروفا - أما عند الخاصة أن كت للخاصة قصدت ، وأما عند العامة أن كت للعامة أردت -

والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة . وإنما مدار الشرف على الصواب وأحراز النعمة ، مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال . وكذلك اللفظ المعاني والخاص <sup>(٢)</sup> . فهو وإن حاول أن يسوى بين اللفظ والمعنى في الأهمية ، إلا أنه تطلب في المعنى فكرة صحيحة ثم أخذ يتحدث عن أهمية الألفاظ واختيارها وصواب المعاني ، وأحراز النعمة مع موافقة الحال . وهو بهذا أقرب إلى روح البلاغة منه إلى النقد . واختلاف النقاد حول هذه القضية يرجع إلى أنهم لم يكتشفوا الصورة التي تقوم بعملية الربط بين اللفظ والمعنى ، فنظر أنصار المعنى إلى اللفظ منفصلا عن الصورة فلم يجدوا له إلا قيمة ثانوية فقالوا بأهمية المعنى . ونظر أنصار اللفظ إلى المعنى منفصلا عن الصورة أيضا ، فلم يروا له كبير خطر ، فقالوا بأهمية اللفظ ، ولو أنهم اكتشفوا الصورة لأدركوا جميعا أنها مناط الجمال والقيمة فسمى الأدب ، فالمبرة أذن بالصورة التي لم يصرح بها أحد من الفريقين ، ولهذا اختلفوا في مقياس الجمال الأدبي ، أهو اللفظ ، أم هو المعنى ، أم هما جميعا ؟ .

---

(١) الحاجظ : البيان والتبيين . ج ١ : ص ١٦٣ .

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٦٣ - ١٦٤ .



وهذا ما تبين لنا حين وقفنا على آراء النقاد واتجاهاتهم المختلفة في تلك

القضية ، وتصورهم لها ، ومدى تطور ذلك التصور على مدى الزمن .

وقد عرض لهذه القضية ابن قتيبة ، حين قسم الشعر الى اربعة اقسام ، وقرر

أن ركني الشعر هما اللفظ والمعنى ، وهما لهما مقترنين في النص الأدبي

لا يحكم عليه بواحد منهما دون الآخر ، لأن العمل الأدبي لا يكون كاملاً

مستوياً الا باستيفاء شروط الجودة فيهما معا ، فحاول بذلك أن يضع قواعد لنقد

الشعر ، قسمه الى اربعة أضرب ، قال أبو محمد : تدبرت الشعر فوجدته اربعة

أضرب : ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول القائل في يمض بنى أمية :

في كفه خيزران ريحها عبق \* من كف أروع في عرينه شم

يفضى حياءً ويفضى من مهابة \* فما يكلم الا حين يبتسم

وكقول أوس بن حجر :

أيتها النفس أجمل جزعا \* ان الذي تحذرين قد وقعا .

وكقول أبي ذؤيب :

والنفس راجحة اذا رغبته \* واذا ترد الى قليل تقنع<sup>(١)</sup>

ثم يقول : " ومثل هذا في الشعر كثير ليس للاطالة به في هذا الموضع وجه .<sup>(٢)</sup>

فهذا الضرب عنده أحسن ضروب الشعر على الإطلاق فألفاظه حسنة مستعديسة

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٦٤ - ٦٥ .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ج ١ ص ٦٦ .

وقمت في مواقعها من المعاني ، ولذلك اعتبره مقياسا أعلى للجمال الشعرى  
ولكنه ضيق على نفسه الطريق حتى كاد يستفلق عليه . عندما حاول أن يجمع  
لكل بيت من الشعر معنى مستقلا ، وعندما تطلب معنى اخلاقيا حينما  
أعجب بيت أبى ذؤيب السابق ، لان المعاني الاخلاقية ليست كل شئ  
في الشعر الذى يقوم على التصوير الفنى ، ثم ان هناك تعليقات يوردها  
بعد الابيات التى اختارها لهذا الضرب من الشعر كأن يقول : " لم يقل  
في الهيبة شئ أحسن منه . لم يتدى أحد مرثية بأحسن من هذا . ولم  
يقل في الكبر شئ أحسن منه . لم يتدى أحد من المتقدمين بأحسن  
منه ولا أغرب " (١) وهى كما ترى تعليقات بعيدة عن روح التمليل ، وإكمال —  
الحديث عن أقسام الشعر الأربعة سيتبين لنا فى هذا التقسيم من الدقسية  
المنطقية التى لا تجدى شيئا . فقد أراد أن يكمل تقسيمه الذى التزمه ،  
فوصف الضرب الثانى من الشعر على أنه ما " حسن لفظه وحلا ، فإذا أنت فتشته  
لم تجد هناك فائدة فى المعنى ، كقول القائل :

ولما قضينا من منى كل حاجة \* ومسح بالاركان من هو ما مسح  
وشدت على حذب العهارى \* ولا ينظر الفنادى الذى هو رائج  
بحالنا  
أخذنا بطراى الأحاديث بيننا \* وسالت بأعناق المطى الأباطح (٢)

فحكم على قيمة الشعر من خلال الدلالة المعنوية ، وأغفل الركن الثانى الذى

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٦٥ — ٦٦ .

(٢) المصدر السابق ج ١ : ص ٦٦ .

يمثله اللفظ ، وكأنه يرى أن الفرض الأساس يكمن في المعنى ، وأن الالفاظ لا بد أن تكون في خدمة المعاني ، وهو عندما اعتبر معناها عاديا ، كما أن يبحث عن فكرة ، لأنه نظر إلى ما تحتها من معنى فوجده \* ولما قطعنا أمام منى واستلمنا الإركان وعالينا ابلنا الانضاء \* وطشني الناس لا ينتظر الفادي  
 الرابع \* ابتدأنا في الحديث ، وسارت المطى في الابطاح \* وطريقته هذه  
 في نشر الآيات ثم الحكم على قيمتها الفنية ليست طريقة مأثومة ، لأنه أقدها  
 ذلك التناسق التمييزي ، والابقاع الناس \* من ذلك التناسق ، كما سلبها تلك  
 الصور التي يبدو فيها التمييز . وقد تبعه في نشر الآيات أبو هلال العسكري  
 ثم قال يمد ذلك \* وليس تحت هذه الالفاظ كبير معنى ، وهي رائقة ممجبة \*  
 وسار على طريقهما الباقلاني حين علق عليها بقوله : \* وهذا من الشمس  
 الحسن الذي يحلو لفظه وتقل فوائده \* \* فهو لا \* الذين فتشوا عن الفائدة  
 ولم يجدوها ، اعتبروا معناها عاديا لانهم فهموا المعنى بمعنى الفكـــــرة  
 ولو أنهم نظروا إلى الصورة لاستجادوا معناها ، لاننا نجد كثيرا من رواة الادب  
 يروونها على أنها جيدة المعنى ، وهو لا \* الذين استجادوا معناها ، هم الذين  
 تنبها للصورة التي أضفت على الآيات جمالا فنيا ، من جهة الالفاظ حتى أصبح  
 المعنى مستوفى على قدر مراد الشاعر . فابن طباطبا يرى في تلك الآبيات

(١) ابن قتيبة : الشمع والشمع \* ج ١ : ص ٦٧

(٢) العسكري : الصناعين : ص ٥٩

(٣) الباقلاني : اعجاز القرآن ( القاهرة ١٩٦٢ ) ص ١٢٢

صورة رائقة ومعنى مستوفى ، حيث يقول : " هذا الشعر هو استشمسار  
قائله لفرحة قفوله الى بلده وسروره بالحاجة التي وصفها من قضا حجه ، وأنسه  
برفقائه ، ومحادتهم ، ووصفه سيل الأباطح بأعناق المطى كما تسيل بالياه ،  
( ١ )  
فهو معنى مستوفى على قدر مراد الشاعر . " وكما استحسنت ان طبيا طبيا  
تلك الابيات ، فان عبد القاهر الجرجاني قد عارض ابن قتيبة ، ولم يوافق في الاستهانة  
بها لانها تمثل لوحة فنية لقوم عائدین الى اوطانهم ، اكتسبت تصويرا فنيًا  
رائعا مع ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى الى القلب مع وصول اللفظ  
الى السمع واستقر في الفهم ، مع وقوع العبارة في الاذن . ( ٢ ) وقد أسهب عبد القاهر  
في الحديث عن استحسانه لتلك الإيات التي أجاد في بيان حسننها ، حيث رأى أن  
حسن الالفاظ وسلاستها مقرونة بحسن النظم الذي ادى الى تأليف الصورة

والباقلائي هما اللذان تأثرا بابن قتيبة في هذا الضرب من الشعر ، فقد مثل  
بها قدامة ابن جعفر للشعر الذي يستجاد بالفاظه وان خلا من سائر نموت  
الجودة ، وتأثيره في الإيات وفي الفكرة نفسها ، على أن قدامة يشمرنا بأن —  
هناك عيبا خارجا عن اللفظ ، أما ابن قتيبة فقد حدد ذلك العيب  
بتفاهة المعنى . ( انظر بدوى طيبانه : قدامة والنقد الادبي ) مصر  
١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م ) : ص ١٤٩ — ١٥٠ .

( ١ ) ابن طباطبا : عيار الشعر ( القاهرة سنة ١٩٥٦ م ) ص ٨٤ .  
( ٢ ) عبد القاهر الجرجاني : اسرار البلاغة ( تحقيق هـ . ريتراستانيول سنة —  
١٩٥٤ م ) ص ٢٢ .

( ٣ ) يقول عبد القاهر في حديثه عن ابيات الحبيب : " وأول ما يتلذذ من محاسن  
هذا الشعر أنه قال : " ولما قضينا من منى كل حاجة " . فمبر عن قضا  
المناسك بأجمعها والخروج من فروضها ومختل عن طريق أمكنه أن يقصر مع  
اللفظ ، وهو طريقة المصوم ، ثم نبه بقوله : " ومسح بالاركان من هو مسح "

كما أرادها الشاعر . على أن ابن قتيبة لم يكف بإيراد تلك الإبيات التمسى  
تصف عودة الحجيج ، والتي اختارها تطبيقاً لقاعدته النقدية في الضرب الثانى

---

على طواف الوداع الذى هو آخر الامر ، ودليل السير الذى هو مقصوده من الشعر قال : " اخذنا بأطراف الاحاديث بيننا " فوصل بذكر صمغ الاركان ما يليه من زم الركاب ، وركوب الركبان ، ثم دل بلفظة " الاطراف " على الصفة التى يختص بها الرفاق فى السفر من التصرف فى فنون القول ، وشجون الحديث ، أو ما هو عادة المتطوفين من الإشارة والتلويح ، والرمز ، والايماء ، وأنباً بذلك عن طيب النفوس ، وقوة النشاط وفضل الاغباط ، كما توجهه ألفه الاصحاب ، وأنسة الاحباب وكما يليق بحال من وفق لقضاء العبادة الشريفة ، ورجا حسن الاياب ، وتنعم روائج الاحبة والاطوان ، واستماع التهانى والتحايا من الخلان والاخوان ، ثم زان ذلك كله باستمارة لطيفة طبق فيها مفصل التشبيه ، وآفاد كثيراً من الفوائد بلطف الوعى والتنبيه ، فصرح أولاً بما أوما اليه فى الاخذ بأطراف الاحاديث من انهم تنازعوا أحاديثهم على ظهور الواحل ، وفى حال التوجه السرى المنازل ، وأخبر بعد بسرعة السير ، ووطأة الظهر ، اذ جعل سلاسة سيرها بهم كالما تسييل به الابطاح ، وكان فى ذلك ما يؤكده ما قبله ، لان الظهور اذا كانت وطيفة ، وكان سيرها السير السهل السريع زاد ذلك فى نشاط الركبان ، ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيباً ، ثم قال : " بأعناق المطى " ولم يقل : " بالمطى " لان السرعة والبطء يظهران غالباً فى اعناقها ، ويبين امرنا من هواديهما وصدورها ، وسائر اجزائها تستند اليها فى الحركة وتتبعها فى الثقل والخفة وممر عن المرح والنشاط اذا كانا فى انفسهما بأفاعيل لهما خاصة فى العنق والرأس ويدل عليهما بشمائل مخصوصة فى القاديم " اسرار البلاغة : ص ٢٢ - ٢٣ . "

من اضرب الشعر ، وإنما أورد أبياتا لجريـ (١)  
وصفها أيضا بقلة الفائدة

التي ترجع الى المعنى ، الا أن أبا هلال العسكري قد انكر على ابن قتيبة

ضعف ذوقه الذي جعله يقلل من قيمة تلك الابيات التي عبرت عن تجارب قائلها

ومن أحاسيسه ومشاعره ، فقال في معرض الرد عليه : " وأنا لا أعلم معنى أجود

ولا أحسن من معنى هذا الشعر " (٢)

ويضئ ابن قتيبة في طريقه الذي اختطه لوضع قواعد للشعر متخذاً اللفظ

والمعنى أساساً لذلك ، فيتحدث عن الضرب الثالث من اضرب الشعر وهو ما

جاد معناه وقصرت الفاظه عنه كقول لبيد :

ما عاتب المرء الكريم كنفه \* والمرء يصلحه المجلس الصالح (٣)

ثم يعلق على ذلك بقوله : " هذا وإن كان جيد المعنى والعيبك فانه قليل الماء

والرواق " (٤) ولعله يقصد بقوله : " قليل الماء والرواق " ان البيت انما يخاطب

(١) أبيات جرير هي قوله :

بان الخليط ولو طوعت ما بانا \* وقطموا من حبال الوصل أقرانا

ان الميون التي في طرفها مرض \* قتلنا ثم لم يحيين قتلانا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به \* وهن أضف خلق الله أركاننا

( ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ج ١ : ص ٦٨ .

والآن أي معنى يريد ابن قتيبة من هذه الابيات ، ان حقائقها الممنوية وقمت

لصاحبها الواصف لها ، فعبّر عن تلك الحقائق تبعا لتصوره لها ، فأنت

صورا جميلة صادقة .

(٢) العسكري : الصناعين ، ص ٤ .

(٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ج ١ : ص ٦٨

(٤) المصدر السابق : ج ١ : ص ٦٨ .



اذ أدخله في متخيره وهو شعر ليس بصحيح الوزن ، ولا حسن الروى ، ولا -

(١)

متخير اللفظ ، ولا لطيف المعنى .

على أن ابن قتيبة لم يقتصر على تقسيمه الشعر الى أربعة أقسام متخذاً اللفظ

والمعنى أساساً لذلك التقسيم ، فهو يرى أن هناك أثراً قنياً لجودة اللفظ

أورداه ، أو حسنه وقبحه ، حيث يقول : " وقد يقدح في الحسن قبح اسمه

كما ينفع القبيح حسن اسمه ، ويزيد في مهابة الرجل فظاعة اسمه ، وترد عدالة

(٢)

الرجل بكنته ولقبه ولذلك قيل ، اشفعوا بالكنى فانها شبيهة . ولهذا عاب

(٣)

شعر الخليل بن أحمد ، وأدخله في جملة الشعر المتكلف الرديء -

الصنعة ، حين أفسده بذكر بعض الاسماء البشعة في مقام التشبيب الذي يحتاج

الى أن يكون مستعذب الالفاظ ، جيد السبك حلوا المعاني ، سهلاً غير متكلف

. فقال : " ولولم يكن في هذا الشعر الا " أم البنين " ، و " يوزع لكفاه كفاً " (٤)

يرى ايضاً أن تكرير اللفظ في المعنى الواحد مريب واستشهد على ذلك

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء - ج ١ ص ٧٢ - ٧٣

(٢) المصدر السابق ج ١ : ص ٧٠ - ٧١ .

(٣) شعر الخليل بن أحمد هو قوله :-

|                  |                  |
|------------------|------------------|
| ان الخليط تصدع   | فطر بدائك اوقع   |
| لولا جوارحسان    | حور المدامع اربع |
| أم البنين وأسماء | والرباب وسوزع    |

لقلت للراحل ارحل اذا ابدالك أودع . ( ابن قتيبة : الشعر والشعراء

ج ١ : ص ٧٠ وهذا الشعر ليس ممبياً بوزود الاسماء البشعة فحسب ، وإنما

مريب من كل ناحية ، لانه مكدود مستكره ، الفاظه غثة جافة ، وقافيته باردة فائرة

وما أجدر ما كان بهذه الصفة الا يسمى شعراً ، وان كان موزوناً مقفى ، لان

المقصود بالشعر معدوم منه ، وما كان بهذه الهيئة من الشعر فان النفس

لا تتأثر به ، لان بشاعة معرضه تحول بينه وبين التأثر به .

(٤) ابن قتيبة : الشعر والشعراء - ج ١ : ص ٧٠



يقول الاعشى :

(١)

وقد غدوت الى الحانوت يتبمنى      شاو مثل شلول شلشل شول •

فقد اورد اربعة الفاظ فى معنى واحد • وهذا ما يشين الكلام ويذهب بطلاوته

وكان يكفيه منها لفظ واحد •

وهكذا نلح من ابن قتيبة فى مجالته لقضية اللفظ والمعنى ، أنه قسم

الشعراء الى ا ضرب متخذا اللفظ والمعنى أساسا لذلك التقسيم ، وهذا فهم

منطقي لطبيعة الشعر ، فالشعر عنده عنصران لفظ ومعنى ، فمن صفات اللفظ

الذى يشمل الاسلوب بكل ما فيه : أن يكون أحسن شئ ، مخارج ومطالع ومقاطع

جيد السبك له ما ، ورونق بعيدا عن التكلف والتعمل الردى ، ليس فيسه

بشاعة ، ويكون كذلك خاليا من عيوب الشعر صحيح الوزن ، حسن الروى •

أما المعانى عنده فهي التى تتحدث عن تجربة ، أو امر واقع فى الحياة

اذ رأى أن من المعانى ما لا يكون تحته فائدة نفعية كذلك التى تكون فكرة عادية

والتى مثل لها بالضرب الثانى من أقسام الشعر ، والمعجب منه أنه لا ينظر

الى العمل الادبى كوحدة متكاملة تتضمن الشكل والمضمون فى النص الادبى المتكامل

وانما يصدر حكمه على ذلك بمجرد نظره الى البيت والبيتين والثلاثة الابيات

احيانا • وهذا لا يساعد على تمكن الناقد من اصدار الحكم على العمل الادبى

كلل وابرار ما فيه من جمال فنى أو العكس • ولا شك أن العقلية العلمية

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء • ج ١ : ص ٢١ •

قد حدث بآبن قتيبة الى أن يقسم الشعر هذا التقسيم المنطقي الذي لا يجدى شيئا ، اذ رأينا أن جميع الذين تناولوا تلك القضية لم يستطيعوا أن يتفقوا على الحسن الذي يكمن في اللفظ والمعنى أحدهما أو كليهما ، ودليلا على ذلك انهم اختلفوا حول الضرب الثاني من اضرب الشعر الملقى عالجها ابن قتيبة ، فمنهم من رأى في تلك الإبيات التي تصف عودة الحجيج المعنى الجيد فأثرها لجودة معناها ، ومنهم من اعتبر أن معناها عادي لا فائدة تحته .

وعلى هذا الاساس كانت احكام ابن قتيبة في هذه القضية - قضية اللفظ والمعنى قائمة على اساس منطقي غير فني - فقد حاول أن يجعل للشعر قواعد مستمدة حكمه من بيت واحد أو بيتين أو ثلاثة أبيات ، وأراد أن يجمع اللفظ في خدمة المعنى أحيانا ، فتخبط في قضية العلاقة بينهما ، وشغل نفسه بهذا التقسيم المنطقي الذي دل على ضعف ذوقه في معالجته للقضية . وقد تأثر بتلك التقسيمات بعض النقاد من أتى بعده فقام (١) بن جعفر بن جهمر نقل عنه الضرب الثاني من أقسام الشعر ، إلا أنه ذهب الى أبعد من ذلك حيث تدبر الشعر فوجده ثمانية اضرب .

أما ابن طباطبا فإنه رأى أن العلاقة بين اللفظ والمعنى كالعلاقة بين الروح والجسد فهو وان سار على خط ابن قتيبة في محاولة الربط بين اللفظ والمعنى

---

(١) انظر . قدامة بن جعفر : نقد الشعر : ص ١٤٩ - ١٥٠ .

الا أنه أوضح من ابن قتيبة في ذلك الخط ، لانه لم يقتصر في العلاقة بينهما على الوجوه الاربعة التي ذكرها ابن قتيبة ، فحاول أن يحسّر نفسه من التقسيم المنطقي ، الا أنه وقع في نفس الخطأ من حيث لا يشعر ، حيث شغل نفسه بتقسيمات للشعر تقوم اولا على المعنى ثم اللفظ ثانيا .<sup>(١)</sup>

الا أن المسألة بدأت تأخذ شكلها الصحيح عند الذين تناولوا البحث في اعجاز القرآن من أتوا بعد ابن قتيبة ، حيث كانت المعطى والالفاظ موضع اهتمامهم على السواء فالرمانى :<sup>(٢)</sup> يرجع إلى درجاة البلاغة " ايصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ " .<sup>(٣)</sup> وأن جمال الاسلوب ورونقه يكون " باجتماع امور يظهر بها للنفس أن الكلام من البلاغة في أعلى طبقة ، وان كان يلتبس فيما قل بما حسن به جدا لا يجازه وحسن رونقه ، وعذوبة لفظه ، وصحة معناه " .<sup>(٤)</sup>  
اما الخطابي : فقد بنى نظريته في النظم بتقسيم الكلام إلى ثلاثة أقسام<sup>(٥)</sup>

- (١) انظر ابن طباطبا : عيار الشعر ص ٤٩ - ١٠٦
- (٢) هو : ابو الحسن علي بن عيسى الرمانى المعتزلى - كان يعرف بالاخشيدي نسبة إلى استاذة ابن الاخشيدي والوراق لانه كان يحترف الوراقة ، والمعتزلى لانه كان من المعتزلة ولد سنة ٢٧٦ هـ وتوفي سنة ٣٨٤ هـ له كتاب " النكت " في اعجاز القرآن نشر ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن " نشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٦ م " .
- (٣) د . محمد زغلول سلام : أثر القرآن في تطور النقد العربى " مصر سنة ١٩٦٨ " ص ٢٣٦ .
- (٤) المصدر السابق : ص ٢٥٠ - ٢٥١ .
- (٥) ابو سليمان الخطابي : احمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي البشقى ولد سنة ٣١٩ هـ من أئمة المحدثين بنيسابور له كتاب " بيان اعجاز القرآن " نشر ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن " نشر دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٦ م " .

يكون باجتماعها قد اكتسب الوحدة التي هي من صفات الكلام الجيد ، وتلك الاقسام

هي :-

١- لفظ حامل .

٢- ومعنى به قائم .

٣- ورباط لها ناظم . (١)

وهو بهذا قد ادرك الصورة التي عليها مدار اعجاز القرآن فهو " انما صار معجزا لانه جاء بأفصح الالفاظ في أحسن نظم التأليف مضمنا أصح المعاني (٢) .

على أن كل الدراسات والبحوث التي دارت حول قضية اللفظ والمعنى قد وصلت جميعها الى عبد القاهر الجرجاني ، فكانت بمثابة جداول غنية أثرت نظرية النظم التي تبناها عبد القاهر واكتملت على يده ، وقد صرح بذلك حيث قال : " ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة ، والبيان والبراعة ، وفي بيان المفرد من هذه المبارات وتفسير المراد بها . . . ووجدت - المعول على أن ما هنا نظما وترتيبا ، وتأليفا ، وتركيبا ، وصياغة وتصويرا وتحجييرا ، وان سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه سبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها . وأنه كما يفضل هناك النظم والنظم والتأليف التأليف . والنسج النسج ، والصياغة الصياغة ، ثم يحظم الفضل ، وتكثر الزينة

(١) د . محمد زغلول سلام : أثر القرآن في تطور النقد العربي . ص ٢٥٧ .

(٢) د . محمد زغلول سلام : أثر القرآن في تطور النقد العربي . ص ٢٥٧ .

حتى يفوق الشئ نظيره • والمجانس له درجات كثيرة ، وحتى تتفاوت القيم

التفاوت الشديد كذلك يفضل بعض الكلام بعضا ويتقدم منه الشئ الشئ<sup>(١)</sup>.

وقد أسهب الجرجاني في شرحه لنظريته في الفصاحة والبلاغة الشيعنى بهما

اجادة القول ، وحسن البيان ، مع اخضاعهما للتفصيل ، اذ " لا بد لكل كلام

تستحسنه ولفظ تستجيده من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة<sup>(٢)</sup>.

وكانه باسهابه في شرح نظريته وتكريره وترجييعه احيانا ، انما يقف موقف المحتج

الذى يحاول أن يرد حجج مذهب المتطرفين في قضية اللفظ والمعنى ، الذين

حاولوا تقديم احدهما على الآخر •

ولقد كانت الصورة التى تربط بين اللفظ والمعنى عند عبد القاهر أوضح وأدق

منها عند غيره ممن سبقوه • فكانت عوناً له في كشف اسرار الجمال في الممثل

الادبى ، لان بلاغة القول لا تكون الا في اجتماع اللفظ والمعنى ، مع حسن

التركيب ، وجودة السيک وارتباط اجزاء القول •

---

(١) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الاعجاز ( مصر ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م ) ص

٨٠ - ٨١ •

(٢) المصدر السابق : ص ٨٥ •

## الفصل الرابع

=====

دواعى حفظ الشعر واختياره

=====

شفف النقاد العرب بجمال التعبير وأناقته ، وإصابة المعنى ، وحسن المطالع والمقاطع ، والتثام أجزاء النظم ، وتفننوا فى تمييز الكلام جيده من رديئه .

(١) وقد كان كثير من النقاد يتخذون الجودة فى الشعر مقياسا للمفاضلة بين الشعراء ، فمضى كان الجيد فى شعر الشاعر اكثر من الجيد فى شعر غيره كان المقدم ، ومن هؤلاء ابن قتيبة حيث يقول : " ولا أحسب أحدا من أهل التمييز والنظر ، نظربعين المعدل وترك طريق التقليد يستطيع أن يقدم أحدا من المتقدمين المكثرين على أحد الا بأن يرى الجيد فى شعره اكثر من الجيد فى شعر غيره " (٢)

---

(١) جعل ابن سلام الجودة والكثرة مما الاساس الذى أقام عليه طبقات الشعراء لكنه قدم الجودة على الكثرة حيث يقول : " وكان الاسود شاعرا فحسلا وكان يكثر التنقل فى العرب يجاورهم فيدم ويحمد وله فى ذلك أشعار ، وله واحدة رائعة طويلة لاحقه بأجود الشعر لو كان شفمها بمثلها قدمناه على مرتبته وهى :  
نام الخلى وما أحسن رقادى \* والههم محتضر لدى وسادى .  
وله شعر جيد ولا كهذه " ابن سلام . طبقات فحول الشعراء . القاهرة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م ج ١ . ص ١٤٧ . ومن هذا النص يتبين أن ابن قتيبة يتخذ من الكثرة مقياسا لقيمة الشعر كما فعل ابن سلام .

(٢) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ ص ٨١

وقد يبدو مقياس الجودة في المفاضلة بين الشعراء موضوعيا لانه يتصل بالشعر من حيث هو ولا يتصل بالشاعر . الا أن هذا المقياس النقدي يتوقف تحقيقه على مدى القدرة على التمييز بين جيد الشعر وردئيه وهذا لا يتيسر الا لمن بلغ منزلة واسعة في معرفة اساليب الكلام المرسى .

الا أن الحكم على شعر الشاعر وتفضيله على شعر آخر يخضع عند ابن قتيبة لعدة عوامل . منها ما ذكره في النص السابق ، وهو التقديم على أساس الجودة وكثرتها في شعر الشاعر المفضل عنها في شعر غيره .

ومنها ان هناك ظروفًا عدة قد تستدعي القارئ احيانا لاختيار النصوص تبعا لاتجاهات وميول معينة خاصة به دون أن يعتمد أساسا فنيا لاختيارها .

ومذلك أراد ابن قتيبة أن يخضع اختيار الشعر احيانا لظروف معينة عن طبيعة النقد ، فقد رأى أن اللفظ والمعنى ليسا كل شيء في الشعر وأن هناك امورا أقرب الى روحه ، كما رأى أن حفظ الشعر وتداوله بين الناس ليس دائما دليلا على جودته . فهو يقدم الشاعر أو يختار شعره على أساس يذكرها بعضها نقدي سليم وبعضها ليس كذلك . فهو مثلا يقدم الشعر الذي يشغل الذهن بطول القراءة والفوضى وراء استخراج المعاني الجيدة .

” قال الرشيد للمفضل الضبي : اذكر لي بيتا جيد المعنى يحتاج الى مقارنة الفكر في استخراج خبيثته ثم دعني واياه . فقال له المفضل : أنصرف بيتا أوله أعرابي في شملته ، هاب من نومته كأنما صدر عن ركب جرى في أجفانهم الوسفر كد ، يستفزهم بمنجھية البدو وتمجرف الشدو ، وأخسره مدني رقيق قد غذى بماء المقيق ؟ قال : لا أعرفه قال : هو بيت

جميل بن معمر :

ألا أيها الركب النيام ألا هيو .

ثم ادركته رقة المشوق فقال :

أسألكم هل يقتل الرجل الحب .

قال : صدقت ، فهل تمرق أنت الآن بيتا أوله اكم بن صيفى فى أصالة

الرأى ونبل الحظة ، وآخره ابقراط فى معرفته بالداء والدواء ؟

قال المفضل : هولت على فليت شمعى بأى مهر تفتتح عروس هذا

الخدر ؟ قال :

(١)

باصفاك وانصافك ، وهو قول الحسن بن هانى .

(٢)

دع عنك لوى فان اللوم اغراء \* وداونى بالتي كانت هى الداء

وواضح أن القياس هنا ليس سليما لان الفوس هنا فى حقيقته ليس وراء معنى

جيد كما ذكر ابن قتيبة وانما هو وراء حل لما يشبه الالفاز والاحاجى .

ويرى ابن قتيبة ان من دواعى حفظ الشعر واختياره انه متى اتفق -

الشاعران فى أصل المعنى فزاد أحدهما على الآخر عرف للمتأخر فضله

فى تلك الزيادة فقد " كان الناس يستجدون للاعشى قوله :

وكاسى شربت على لسدة \* وأخرى تداويت منها بها .

حتى قال ابو نواس :

---

(١) فى هامش الشعر والشعراء ج ١ ص ٧٤ " بانصافك وانصاتك " عن مخطوطتى

برلين وباريس .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٧٣ - ٧٤



دع عنك لؤى فان اللوم اغراء \* وداؤنى بالتي كانت هى الداء .

فسلخه وزاد فيه معنى آخر ، اجتمع له به الحسن فى صدره وعجزه ، ففلاعى  
فضل السبق اليه ولجى نواس فضل الزيادة فيه :<sup>(١)</sup>

كما يرى أن من أسباب اختيار الشعر وحفظه " الاصابة فى التشبيه

كقول القائل فى وصف القمر :

بد أن بنا وابن الليالى كأنه \* حسام جلت عنه القيون صقيل  
فمازلت أفنى كل يوم شبابه \* الى أن أتتك الميسى وهوضئيل<sup>(٢)</sup>

وقد تحدث ابن قتيبة عن حسن التشبيه فى الشعر فى كتاب " عيون  
الاخبار " وكان موافقا فى اختياراته الى حد ما لتلك التشبيهات مبينا  
أحيانا وجه الشبه بين ركنى التشبيه ومن ذلك قول الزبير الأسدي فى  
الثريا :

" وقد لاح فى الفور الثريا كأنما \* به رايق بيضاء تخفق للطمن  
شبه الثريا حين تدلت للمغيب براءة بيضاء خفقت للطمن " <sup>(٣)</sup>

كما كان لاطلاعه الواسع على الثقافة الادبية ومعرفته بأساليب الكلام  
المرسى وطرقه ومناهجه ذا قدرة على الكشف عما ينفرد به بعض التشبيهات

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج ١ : ص ٧٣

(٢) الصدر السابق : ج ١ : ص ٨٤

(٣) ابن قتيبة : عيون الاخبار ج ٢ : ص ١٨٦

من أوجه الحسن أو القبح فقد قال أعرابي في امرأة :

قامت تصدى له عمدا لتقتله \* فلم ير الناس وجدا مثل ما وجدا .

بجيد آدم لم تعقد قلائده \* وناهد مثل قلب الظبي مانها .

فقال ابن قتيبة : " شبه ثديها في نهوده بقلب الظبي في صلابته ، ولا

(١)

نملم أحدا شبه الثدي بقلب الظبي غيره .

وقد أخذ ابن قتيبة في تعداد دواعي حفظ الشعر باعتبار ذلك من علاما<sup>ت</sup>

جودته فقال : " وقد يحفظ ويختار على خفة الروي كقول الشاعر :

يا تملك يا تملك \* صلينى وذرى عذلى

ذرينى وسلاحى \* ثم شد الكف بالفمزل

ونبلى وقفاها كـ \* راقيب قفا طحـ

ومنى نظرة بمـدى \* ومنى نظرة قبلـى

وثوبى جديـدان \* وأرضى شرك النمـل

(٢)

واما مت يا تملك \* فكونى حرة مثلى

وكقول الآخر :

ولو أرسلت من حبـ \* بك مبهوتا من الصـين

(٣)

لوافيتك قبل الصـين \* ح أو حين تصلـين

وابن قتيبة لم يكن حرا في هذا الاختيار لانه بنى اختياره على اختيار الاصمى

(١) ابن قتيبة : عيون الاخبار ج ٢ ص ١٨٨

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج ١ : ص ٨٥ . الابيات للفنـد  
الزمانى .

(٣) الصدر السابق ج ١ ص ٨٦ .

دون أن يذكر تعليلا لذلك . حيث علق على الأبيات السابقة بقوله :  
 " وهذا الشعر ما اختاره الأصمى بخفة روية " <sup>(١)</sup> وعلق على  
 البيتين الآخرين بقوله : " وكان يمثل بهذا كثيرا " <sup>(٢)</sup> .  
 فنحن نوافق ابن قتيبة في أن الشعر يختار ويحفظ على خفة الروى  
 ولكن ليست تلك الخفة التي تفقد الشعر رونقه وجماله إذ أن الروى لا يمثل  
 إلا جزءا يسيرا من النص الشعرى بحيث لا نستطيع أن نحكم على الشعر  
 بمجرد النظر إلى خفة الروى ، كما أن اختيار ابن قتيبة لتلك الأبيات  
 التي استشهد بها لهذا النوع من الشعر لم يكن سليما ، فقايتها باردة  
 فاترة وشعرها ركيك مستهجن لم ترق لمن له أدنى معرفة بصناعة الشعر <sup>(٣)</sup> .  
 وهناك نوع آخر من اختياراته مبنى على ندرة الشعر وقلة حيث  
 يقول : " وقد يختار ويحفظ لأن قائله لم يقل غيره " أو لأن شمره

- (١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج ١ : ص ٨٥  
 (٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ٨٦  
 (٣) انتقد صاحب الصنائع أبيات الفند الزمانى التي استشهد بها  
 ابن قتيبة للشعر المختار على خفة الروى وهى قوله :  
 يا تملك يا تملكى \* صلينى وذرى عذلى  
 فقد أورد أبو هلال البيتين الأولين من تلك الأبيات مع شئ من التحريف  
 فى الالفاظ ووصفها بأنها من الشعر البارد المردود المذموم " انظر  
 الصنائع : ص ٥٩ .  
 أما البيتين الآخرين وهى قول الشاعر :  
 ولو أرسلت كعب \* لك مبهوتا من الصيبن  
 لو أفتيك قبل الصب \* ح أو حين تصلين  
 فقد قال أبو هلال عنهما عن القتيبي أن الأصمى كان يستحسنهما  
 " وهما على ما تراهما من دناءة اللفظ وخساسته وخلوقة الممرض وقبحته " .  
 المسكرى : الصنائع : ص ٤ .

قليل عزيز كقول عبد اللهن أبي سلول المناق :

متى ما يكن مولاك خصمك لا تنزل \* تذلل ويملوك الذين تصارع  
(١) وهل ينهض الهازي يغير جناحه \* وان قصي يوما ريشه فهو واقع  
وهذا المقياس لا يعلم به لانه لا يعتمد أساسا فنيا ، لان من كان شعره  
نادرا وقليل لا يمكن أن يرقى بحال من الاحوال الى درجة الشعر  
الحسن الكثير الذي ينتشر بين الناس ويحتل مكانة في نفوسهم . ولقد  
اضطره هذا النوع من الاختيار الى أن يورد اشعارا غثة مستكرهة  
بحجه أنه لم يسمع لقائلها غيرها ، ثم لا يسمه الا مربعد ذلك الا أن  
يعترف بأنها ليست من الشعر المختار ، كما فعل ذلك مع هشام بن  
(٢) عقبة أحد اخوة ذى الرمة حيث اورد له قصيدة من اثني عشر بيتا

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ . ص ٨٦  
(٢) ابیات هشام هي قوله :

حتى اذا أمعروا صفقى مباءتهم \* وجرد الخطب أشباح الجرائيم  
وأبد ذو المحضر البادي ابايته \* وقوضت نية أطناب تخييم  
الوى الجمال هراميل المقاء بها \* والناكب ريع غير مجلوم  
تصطك اعناقها والبق تغدعها \* حتى أناخوا فزموا كل مزوم  
من كل أكلف أو أجأى تنكط له \* أنساع تابوت جوف غير مهضوم  
عركرك مهجر الضؤ بان أوومه \* روض القذاذ ربيعا أى تأويم  
ما من مذلهن البهيم تبقلها \* قينيه في مرتع أرماث ترمسيم  
حتى رمى أمهات القرد خابطها \* بالناصلات أنا بيضا بتسهميم  
واستن فوق الحذارى القلقان كما \* شكل الشنوف يحاكي بالهيانيم  
بعد المصيف الى خبراء معلقة \* حتى يموت سمال الصيف بالعموم  
من الفراش المقضى عاش في رنق \* رخف السحايات ولى غير مطعموم  
كان أجسادها الاظفار جامدة \* في قنف الصقر الآنى الشراذيم

( ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ ص ٥٢٨ - ٥٣٠ )

ثم علق عليها بقوله : " ولم أذكر هذا الشعر لانه عندى مختار  
ولكن ذكرته لاني لم اسمع لهشام بشعر غيره " (١)  
ويمضى ابن قتيبة في ذكر بعض الوجوه التي يختار عليها الشعر ويحفظ  
حيث يقول : " وقد يختار ويحفظ لانه غريب في معناه كقول القائل  
في الفتى :

(٢)  
ليس الفتى بفتى لا يستضاء به \* ولا يكون له في الارض آثار  
ويقصد بالمعنى الغريب : الطريف المبتدع الذي ابتدعه قائله  
والغرابية فــــ المعنى  
لا تكون حسنة مستعذبة الا اذا كان المعنى جيدا يدل على  
مقصد الشاعر . اما اذا كان المعنى الغريب بعيد التناول لا يصل  
اليه الانسان الا بطول الكد والفؤى فهذا هو المردود المردول .  
ولهذا قيل أجود الكلام السهل الممتنع " (٣) الذي اذا سمعه الانسان  
المادى خيل اليه انه يستطيع أن يصنع مثله ولكنه عند القيام بالمحاولة  
يدرك مدى قصوره وعجزه عن الاتيان بمثله .

ورأى أن من دواعي حفظ الشعر واختياره ايضا ما المح اليه من  
أن أجود الهجاء ما سجل صفات المهجوفى عبارة موجزة ليكون ذلك

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٤٣٠ ٥٣٢

(٢) المصدر السابق . ج ١ : ص ٨٦

(٣) المسكرى . الصناعات . ص ٦١

(١) ادعى الى انتشاره وذيعه بين الناس بسرعة . اذ الشاعر الهاجس يريد أن يقرب ممناه ، ويسهل لفظه حتى يكون ذلك أسرع على القلب وألصق بالنفس وعلى هذا رأوا أن قصر الهجاء أجود . قيل لمقيل بن علفة : مالك لا تطيل الهجاء ؟  
(٢) فقال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالمنق . وهذا النص يدل على أن الهجاء إذا سجل صفات المهجو في أبيات موجزة كانت الاطالة بمد ذلك عبثية لا فائدة وراءها . وقد سئل أبو المهوش الاسدي (٣) لم لا تطيل الهجاء ؟ فقال : لم أجِد المثل السائر الا بيتا واحدا .  
فراى أن قصر الهجاء من اسباب انتشاره وذيعه بين الناس .

وابن قتيبة لم يكن الناقد الاول الذى ألح الى تلك الناحية فى قصر الهجاء ، فقد سبقه الى الحديث عنها الجاحظ ، حتى أن ابن قتيبة لم يأت بشئ جديد فى ذلك بل نقل النصين السابقين من كتاب البيان والتبيين (٤) دون أن يشير الى أنه نقلهما عن الجاحظ او غيره .

هذا وقد قدم ابن قتيبة فى ترجمته للشمراء كثيرا من اختياراته للشمر الجيد المتصلة بطبيعة الشمر الا أنه حاول أن يخضع تلك الاختيارات

- (١) كان أكثر الشمراء يرون أن قصر الهجاء أجود الا جريرا فإنه قد خالفهم فى ذلك ، اذ مال الى الإيجاز فى فن المديح والاطالة فى الهجاء فقال لبيد : " اذا ما دحمت فلا تطيلوا المادحة واذا هجوتهم فخالقوا " ابن رشيقي . العمدة . ج ٢ ص ١٧٢ .  
(٢) ابن قتيبة : الشمر والشمراء . ج ١ ص ٧٦ .  
(٣) المصدر السابق . ج ١ ص ٧٦ .  
(٤) انظر الجاحظ . البيان والتبيين . ج ١ : ص ٢٣٠ .

تبما لاتجاهه وميوله ،

وقد يرد ابن قتيبة شمرا لشاعر ما على اساس خلقى بصرف النظر  
عن جودة هذا الشعر أو رداءته ، فقد عاب على امرئ القيس تصريحه  
بالزنا والدبيب الى حرم الناس لان الشمراء كانت تتوفى ذلك وان فعلته  
وهو فى ذلك انما يؤمن بأن للشعر غاية خلقية ، وقد حرص على هذه  
الفاية فى كتابه « عيون الاخبار » حيث يقول عن الكتب الادبية التى  
ينتظمها هذا الكتاب ، " جمعت لك منها ما جمعت فى هذا الكتاب  
لتأخذ نفسك بأحسنها وتقومها بثقافتها وتخلصها من مساوى الاخلاق  
كما تخلص الفضة البيضاء من خبثها ، وتروضها على الأخذ بما فيها  
من سنة حسنة وسيرة قويمه وأدب كريم وخلق عظيم " (١)

وقد أفرد ابن قتيبة فصلا مصفرا فى كتاب العلم والبيان من عيون -  
الاخبار تحت عنوان : " الابيات التى لا مثل لها " (٢) وكان أكثر  
تلك الإبيات يتحدث عن اكرام النفس ، والاستمقاف والاقدام ، والحرص  
على الصبر ، وعن الجود وحسن الجوار ، وترك الالحاح ، وفى اتفاق  
المال ، والتوكل على الله تعالى وغير ذلك من الامور التى تساعد على تقويم  
التربية الاسلامية .

(١) ابن قتيبة . عيون الاخبار . ج ١ . المقدمة . ص ١٠

(٢) المصدر السابق . ج ٢ . ص ١٩١ وما بعدها .

(١)  
كما أن من الشعر المستجاد عنده ما حوى فكرة صادقة ودعى  
الى مكارم الاخلاق واصلاح المجتمع وتقويمه ، وما اشتمل على الحكمة  
والمثل أو وصف الخيل وهو كثير فى اختياراته . واعتمد الاجادة  
ايضا اذا احتوى الشعر على كلمات غريبة يحتاجها اللغويون شاهدنا  
لفويها ، فقد استجاد أبيات ابى ذؤيب الهذلى :  
(٢)

ما حمل البختى عام غياره \* عليه السوق برها وشعرها  
أتى قرية كانت كثيرا طعامها \* كرفع التراب كل شئ يميزها

لانه رأى أن الاصمى استخرج منها كلمة " رفع " الدالة على كثرة التراب  
فى الارض . بل أن ابن قتيبة قد جاء باختيارات لا تتصل بطبيعة الشعر  
وانما بقائله حيث يقول : " وقد يختار ويحفظ اينما للنبل قائله كقول المهدي :

تفاحة من عند تفاحه \* جاءت فماذا صنعت بالفؤاد .  
والله ما ادرى أبصرتها \* يقظان أم أبصرتها فى الرقاد .  
(٣)

فقد جعل ابن قتيبة للشخصية الشريفة تأثيرا فى الاختيار ولذلك فان  
من الصعب جدا أن نوفق بين هذا الاختيار وبين رداءة الشعر اذا اتى  
من الشريف . فلقد تنكر ابن قتيبة لبعض ما بنى من أسس نقدية وضعها

---

(١) انظر فى ذلك الفصل السابق .  
(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ٢ : ص ٦٥٥ .  
(٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ٨٦ - ٨٧ .



فى صدر كتابه حينما وقع فى هذا النوع من الاختيار لانه قد التزم المعدل قبل ذلك حيث يقول : " فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا به عليه ، ولمرضعه عندنا تأخر قائله أو غاظه ، ولا حداثة سنه . كما أن الردى إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه " (١) ولا شك أن مثل هذا الاختيار يدل على خطأ فى الموقف النقدي لابن قتيبة الذى عول على قائل الشمر بدلا من أن يعمل على الشمر نفسه . فهل نترك الشمر الجيد إذا أتانا من الوضع مثلا أو نقدم عليه الشمر الردى إذا جاءنا من الشريف ؟ . هذا ما يجا فيه الذوق السليم وينتقده كل من له علاقة بصناعة الشمر .

وعلىنا أن نعلم أن تلك الأسباب والموامل التى اختار ابن قتيبة عليها الشمر غير عامل الجودة فى الالفاظ والمعانى أسباب ترجع اما الى تلك النزعة التأثرية السريمة أو الى خطأ فى الموقف النقدي . أو الى فساد فى الذوق ، لأنها فقدت المنصر الموضوعى الذى ينبغى عليه الاستحسان والحفظ والاختيار ، وهو وان لم يهمل الذوق فى اختياراته الا اننا لم نظفر منه بذلك الذوق السليم المدرب المعارف بأسباب الجودة ، لأنه اراد أن يختار الشمر تبعا لميوله الخاصة دون مراعاة

---

(١) ابن قتيبة : الشمر والشمراء : ج ١ : ص ٦٣

منه في اشراك الآخرين معه في الاختيار .

على أن ابن قتيبة وإن كان كثيراً ما يصدر أحكامه النقدية على أساس مبادئ نقدية سليمة فهو كثيراً ما يبنى اختياراته على أساس عمود الشعر ، وإن كان هذا لا يعني أنه ناقد اتباعي للقدمات بقدر ما هو إيمان منبهاً للقيمة الفنية لتلك الخصال . إلا أن أكثر ما جاء به في استجادة الشعر كان قاصراً عن جماله الفني لأنه لم يستوعب كل أنواع الشعر الجيد الذي لا تربطه روابط ولا تحده رسوم . ولكنها عقلية ابن قتيبة العلمية البعيدة عن روح النقد الأدبي التي استهانت بأبيات جرير <sup>(١)</sup> الفزلية إذ لم تجد وراءها فائدة وهي زاخرة بالمعاني حافلة بأرق أنواع الشموخ والتي استجادت قول الشاعر :

يا تملك يا تملكى \* صلينى وذرى عدلى

فجعلتها من الشعر الجيد الذي يحفظ ويختار على خفة الروى علمي ما فيها من الفاظ مستهجنة وتركيب ركيك وفتور في رويها .

من ذلك يبدو أن نقد ابن قتيبة فيه شيء من السطحية ، فهو لم يفس في ماهية الشعر . كما يذهب أحياناً إلى استنباطات بعيدة

---

(١) انظر أبيات جرير في قضية اللفظ والمعنى ، في حديثنا عن الضرب الثاني من ضرب الشعر .

(١) عن مفهوم الشعر ، ويحكم على الشعراء ويقوم شعرهم بناً على ما  
اشتهر من أمرهم .

هذا وإذا كان ابن قتيبة قد بنى أحياناً استحسانه للشعر على استجاده  
من سبقه فإن له مواقف انتقاد على العلماء في استحسانهم لبعض الشعراء  
أو المكن من ذلك ، وإن كانت تلك المواقف ضئيلة جداً كما فعل في قول  
النايضة :

خطاطيف حجن في حبال متينة \* تمد بها أيد اليك نوازع

" قال أبو محمد : رأيت قوماً يستجيدونه \* وهو عندي غير جيد في المعنى  
(٢) ولا التشبيه . لأنه قد شبه النعمان في قدرته وسطوته بخطاطيف  
عقف يمد بها ، وشبهه النايضة نفسه بدلو تمد بتلك الخطاطيف . وقد  
قام ابن قتيبة بتحليل بعض الممانى التي استقبحها العلماء حيناً وجسه  
الحسن فيها \* فقد عابوا على امرئ القيس قوله :  
(٣)

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع \* فآلهيتها عن ذي تمام محول

إذا ما بكى من خلفها انحرفتله \* يشق وتحتى شقها لم يحول

(١) من ذلك شرحه لقول امرئ القيس :

يفكهننا سعد ونعم بالنساء \* ويفدو علينا بالجفان والجزره .  
ونمرف فيه من أبيه شمائله \* ومن خاله ومن يزيد ومن حجر

فقد علق على هذين البيتين بقوله : " وهذا الشعر يدل على أن  
المرب كانت في الجاهلية ترى الولد للفراش . " ( ابن قتيبة  
الشعر والشعراء ج ١ : ص ١١٧ ) ولا شك أن هذا استنباط  
بعيد لا يدل عليه معنى البيتين .

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج ١ : ص ١٧١

(٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٣٥

(١) فرأوا بذلك أنه زير نساء وأنه قد تمهر وفجر في هذا الشعر . وقد  
 شرح ابن قتيبة البيتين شرحا جيدا أقرب الى الصحة ولم ير فيهما عيبا  
 لأن الموضع والحبلى لا تريد أن الرجال ولا ترغبان في النكاح فإذا  
 أصباهما وألهاهما كان لغيرهما أشد أعباء وألهاة \* (٢) وغنى عن  
 البيان أنه في هذا تنكر للمقياس الخلقى الذى دعا اليه كما سبق  
 فرأى أن فحشى الممنى في نفسه لا يزيل جودة الشعر فيه .  
 كما عابوا على امرئ القيس أيضا قوله : (٣)

أغرك منى أن حبك قاتلى \* وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل  
 فقالوا : إذا لم يفررها هذه الحال منه فما الذى يفرها . وقد شرح  
 ابن قتيبة البيت في معرض الرد على أولئك الذين عابوه فقال : " أنه  
 لم يرد بقوله " حبك قاتلى " القتل بعينه وإنما أراد به أنقذ بسرح  
 من فكأنه قد قتلنى . وهذا كما يقول القائل : قتلتنى المرأة بدلهما  
 ومعينها ، وقتلنى فلان بكلامه \* (٥)  
 على أن التأمل فى البيت يرى أن امرأ القيس إنما أراد من محبوبته أن تخلص  
 لهواه وتستجيب له كما استجاب هو لها ، وهذا الممنى لم يفتن له ابن قتيبة .

- (١) انظر : الباقلانى : اعجاز القرآن : ص ١٦٦ - ١٦٧ ، والمرزبانى :  
 الموشح : ص ٣٤ .  
 (٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ : ص ١٣٥ .  
 (٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٣٥ .  
 (٤) انظر : ( المرزبانى : الموشح : ص ٣٢ ) و ( الباقلانى : اعجاز  
 القرآن : ص ١٦٨ ) و ( المسكرى : الصنائع : ص ٤٧٣ - ٤٧٤ ) .  
 (٥) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ : ص ١٣٥ .

## الفصل الخامس

=====

### المثلك والمطبع

=====

من الظواهر الأدبية التي تطرق لها ابن قتيبة معالجته لنظرية المثلك والمطبع من الشعر فقد ذهب أكثر النقاد المرب إلى أن الشعر صناعة تشبه سائر الصناعات ، وهذا المفهوم بدأه ابن سلام في كتاب " طبقات فحول الشعراء " وسار على نهجه من أتى بعده من النقاد .

فالدربة في الصناعة امر ضرورى في كل الحالات ، اذ لا يستطيع المشتغل بالنقش أو بالتصوير مثلا أن يبرز فيها ما لم يمهّد لنفسه بالدربة والمران حتى يصل الى درجة من الاتقان والاجادة في صنمته ، وكذلك الحال بالنسبة لاي فن من الفنون فانه لا يجيده الا المتخصصون الذين تكونت عندهم الدربة والممارسة في ذلك الفن ، وهذا لا يضع من وجود تفاوت يختلف قريبا ومدا بين اصحاب الفن الواحد ، لانهم لا يكونون بحال من الأحوال على درجة واحدة في الاجادة والاتقان ، ولما كان الشعر أحد هذه الصناعات فطبعي ألا يتقنه الا متدربون مارسوا الأدب وتكونت عندهم ثقافة أدبية واسعة اكتسبهم ملكة شعرية متدققة . فالشاعر صانع لشعره بجوده ويقومه فيستبدل كلمة بغيرها أو حرفا <sup>بآخر</sup> أجود منه حتى تستقيم عنده القصيدة كاملة مستويصة ، وقد وجدت هذه الصناعة الشعرية منذ العصر الجاهلي ، فقد تكونت مدرسة الصنعة والنظر في الشعر والوقوف عند كل بيت قاله الشاعر على يد أسير بن حجر بن عتاب فحل مضر ، وكان من ابرز شعرائها زهير بن ابي سلمى والخطيئة . فالخطيئة يرى أن " خير الشعر الحولى المحكك " (١) وقد

فسر سويد بن كراع المكللي الصنعة في الشعر والقيام عليه أحسن تفسير  
(١)  
في قوله :

أبيت بأبواب القوافي كأنما \* أصادى بها سرا من الوحش نزعا  
أكالها حتى أعرس بعدما \* يكون سحيرا أو يمد فاهجما  
إذا خفت أن تروى على رددتها \* وراء التراقي خشية أن تظلمها  
وجشمتي خوى ابن عقان ردها \* فتثقتها حولا جريدا ويربما (٢)  
وقد كان في نفس عليها زيادة \* فلم أرا إلا أن أطيع وأسمما

ولما كان الشعر صناعة فلا بد من تعلمه ودراسته على أيدي الشعراء  
المشهورين ، وكثير من الشعراء المبرزين تعلموا الشعر عن لازموا مدة  
طويلة وأخذوا الشعر عنهم " فقد كان كثيرا أخذ الشعر عن جميل وأخذه  
جميل عن هديبة بن خثرم وأخذه هديبة عن بشر بن أبي خازم وكان الحطيئة  
قد أخذ علم الشعر عن زهير وأخذه زهير عن أوس بن حجر ، وكذلك جميع  
شعراء العرب المجيدين المشهورين " (٣)

وقد اشتهرت مدرسة أوس بن حجر وجماعته بطول الروية والأناة حتى  
كانت بعض قصائدهم تمكث حولا كاملا ينقحونها ويفتشونها ويميدون فيها  
النظر حتى لا تكون اشعارهم عرضة لنقد يمكن ان ينال من قيمتها الفنية .  
ولعل ذلك أهم الأسباب التي جعلتهم يخبذون التأنى في اظهار قصائدهم .

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء ج ١ : ص ٢٨ .  
(٢) قوله " ابن عقان " هو الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، فقد كان  
الشاعر هجا قومه ، فوصل خبره عثمان فأخذ عليه اليهود الايعود الى  
هجائهم .  
(٣) القرطاجني : منهج البلغاء وسراج الادباء . تونس ١٩٦٦ : ص ٢٧

وقد رأى الجاحظ أن زهير بن أبي سلمى إنما كان ينقح شعره " اشفاقاً على أدبه واحرازاً لما خوله الله من نعمته " (١) إلا أنه بعد ذلك غسب فكرته هذه وأخذ يمثل لهذه النزعة بأن من دوافعها المدح والتكسب بالشعر " أن من تكسب بشعره والتصبر به صلات الأشراف والقادة ، وجوائز الملوك والسادة في قصائد السماطين وبالطوال التي تنشد يوم الحفل لم يجد بداً من صتيح زهير والحطيئة وأمثالهما " (٢) وفكرته الأولى على ما يبدو أرجح لأن كثيرين من الشعراء مدحوا بدون دافع الرجاء وإنما اعظاماً لمن مدحهم واعجاباً بهم ، فامرؤ القيس مدح بني تميم رهط المعلى بقوله :

أقرحشا امرؤ القيس بن حجر \* بنوتهم مصابيح الظلام (٣)

وهو لا يريد أن يلتص منهم صلة مادية لأنه ملك وابن ملك ينفق المال — لذوى السؤال • فليس المدح دافعاً حتمياً لاتقان الشعر والاجادة فيه . ولم يكن القدماء من الشعراء هم الذين كانوا يمثلون هذه الصنعة المحمودية في الشعر بل كان هذا أيضاً دأب المحدثين من الشعراء • وقد وضع أبو هلال المسكري نموذجاً يسير عليه الشاعر الذي يريد أن يجود في صنمته حيث قال : " فإذا عملت القصيدة فهدبها ونقحها ، بالقاء ما غث من أبياتها ، ورث ورذل ، والاقتصار على ما حسن وفخم ، بإبدال حرف منها بآخر أجود منه حتى تستوى أجزاؤها ، وتتضارع هواديهما وأعجازها ، ٠٠٠٠٠ " وقد كان

(١) الجاحظ : البيان والبيان — ج ٢ : ص ٨

(٢) المصدر السابق : ج ٢ : ص ١٤

(٣) ابن رشيقي : الممد — ج ١ : ص ٨٠ وانظر قصة مدحه مفصلة في ذلك .

هذا دأب جماعة من حذاق الشعر من المحدثين والقديما<sup>(١)</sup> .

والصنعة ينبغي فيها الا تتمدى قدرة الشاعر الى حد الافراط فيها ، فقد كان الى جانب الصنعة المحمودة فى الشعر صنعة أخرى أفرطت فى تعقيده ، ومالت به الى الافتراق فى الاستعارات واستجلاب اللفاظ قسرا ، وقد عيبت هذه الصنعة وسقط شعر متعلمها فى أكثر فميسب " صالح بن عبد القدوس وغيره ممن سلك هذا السبيل " ٠٠ لأن لكل شىء حدا اذا تجاوزه المتجاوز سمى مفرطا<sup>(٢)</sup> .

وكانت بداية ذم الصنعة على يد أبى تمام الذى أغرق فى الاستعارات فاتخذ لنفسه مذهباً جديداً فى الشعر المرسى ، فأخذ أولئك الذين يميلون الى هذه الصنعة " يفضلون كل ما قاله أبو تمام<sup>(٣)</sup> " .

وقد تطور المتعمل فى شعر المحدثين لانهم لما " رأوا استفراب الناس للبديع على اقتنائهم فيه أو لموا بتورده ، اظهروا للاقتدار وذهابا الى<sup>(٤)</sup> الافراط<sup>(٥)</sup> " .

وعلى هذا الاساس نشأ التفريق بين نوعين من الشعراء : شعراء الروية — الذين قوموا شعرهم ، وأعادوا فيه النظر ، وأخرجوه مستويا محكما ، ورأوا — " أن أحسن الشعر ما كان أكثر صنعة وألطف تعبلا ، وأن يتخير اللفاظ الرشيقة للمعاني البديعة والقوافى الواقعة<sup>(٥)</sup> " .

- 
- (١) المسكرى . الصناعين . ص ١٣٩ — ١٤١  
 (٢) الآمدى . الموازنة بين الطائيين . ( مصر ١٣٨٠ هـ — ١٩٦١ م ) ج ١  
 ص ٢٤٣ . (٣) المصدر السابق . ج ١ : ص ٤٩٦ .  
 (٤) المرزوقى . الحماسه . ( مصر ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م ) ج ١ : ص ٢٣ .  
 (٥) الباقلانى . اعجاز القرآن . ص ١١٥



## الذين

وشعراء التمثل والبيان بالشيء قسرا واختاروا ما غرض معناه وغرب لفظه  
 واعرضوا عن " ما سهل على اللسان وسبق الى البيان " (١) ومن هنا نشأ  
 التفريق بين شعر الطبع وشعر الصنعة ، وأدرك النقاد أبعاد هذين  
 المذهبين ، وقد بين المرزوقي الفرق بينهما فقال : " فمضى رضى التكلف  
 والتعلم وخلق الطبع المذهب بالرواية ، المدرب في الدراسة لاختياره  
 فاسترسل غير محمول عليه ولا ممنوع مما يميل اليه ، أدى من لطافة  
 المعنى ، وحلاوة اللفظ ما يكون صفوا بلا كدر ، وغفوا بلا جهد ، فذلك  
 هو الذى يسمى " المطبوع " (٢) فالطبع عنده ما اجتمع فيه الطبع  
 والصنعة وهذا هو الوضع المثالى للشعر المختار ، أما اذا كانت هناك  
 صنمقلا طبع فهذا هو التكلف الردى ، وانما كان هناك طبع بلا صنعة  
 فهو الكلام الذى لا يظهر فيه أثر الصنعة " ومعنى جعل زمام الاختيار  
 بيد التمثل والتكلف عاد الطبع مستخدما مطلقا ، وأقبلت الافكار تتجملسه  
 أثقالها وتردده فى قبول ما يؤديه اليها ، مطالبة له بالاغراب فى الصنعة  
 وتجاوز المؤلف الى البدعة فجاء مؤداه وأثر التكلف يلوح على صفحاته  
 وذلك هو " المصنوع " (٣) ومن هذا المنطلق نرى الشعراء عند ابن قتيبة  
 شاعرين ، شاعرا مطبوعا ، وآخر متكلفا ، وعلى هذا الاساس فى  
 التقسيم يصبح عنده شعر مطبوع ، وشعر متكلف وهو الذى ينتقى ويختار  
 فالشاعر المتكلف عنده ، ما اجتمع له الطبع والصنعة على السواء " فهو  
 الذى قوم شعره بالثقاف ، ونقح بمطول التفتيش ، وأعاد فيه النظر بمسند

(١) الباقلانى : اعجاز القرآن : ص ١١٤

(٢) المرزوقي : الحماسة ج ١ : ص ١٢

(٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٣

(١) النظر كزهير والحطيئة ٠٠٠ وكان زهير يسمى كبر قصائده الحوليات.

فقد استخدم التكلف فيما يقابل الطبع ، فالتكلف عنده بمعنى الصنعة . وقد فهم بعض الدارسين المحدثين ان ابن قتيبة قد خلط بين معنى الصنعة والتكلف : ، منهم الدكتور عز الدين اسماعيل الذي يقول : وقد يخلط ابن قتيبة بين <sup>معنى</sup> الصنعة والتكلف (٢) وابن قتيبة لم يخلط بين معنى الصنعة والتكلف كما فهم هؤلاء الدارسون فهو لم يجب على زهير والحطيئة وأشباههما قيامهم على الشعر وتقيحهم اياه ، لأنه لم يسترذل شعرهم ، ولا نظر اليهم على أنهم أقل مرتبة من الشعراء المطبوعين ، فالتكلف عنده معناه الصنعة المحمودة في الشعر ، وهذا ما عناه ابن قتيبة فسمى قوله السابق (٣)

أما التكلف الذي يأتي بالاشياء قسرا فهو المذموم المستكره الذي تبين عليه اثر العمل الردي وهو " ما يزل بصاحبه من طول التفكير وشدة المناه ، ورشح الجبين ، وكثرة الضرورات وحذف ما بالاماني حاجة اليه ، وزيادة ما بالاماني غنى عنه . كقول الفرزدق في عمر بن هبيرة لبعض الخلفاء .

- 
- (١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٢٨ .  
 (٢) الاسس الجمالية في النقد العربي " القاهرة ١٩٦٨ م " ص ١٤٢ ومن الذين فهموا هذا الفهم . د . احمد احمد بدوي : اسس النقد الادبي عند العرب : ٤٨٤ وما بعدها . د . محمد مندور : النقد المنهجي ( القاهرة ١٩٤٨ م ) ط ٤ وطه احمد ابراهيم : تاريخ النقد العربي ص ١٢٦ - ١٢٧ .  
 (٣) استعمل الجاحظ لفظ التكلف بمعنى الصنعة المحمودة في الشعر وانتقد الاصمعي الذي عاب شعر الحطيئة " حين وجده كله متخيلا مستويا لمكان الصنعة والتكلف والقيام عليه " ( الجاحظ : البيان والتبيين ج ١ ص ٢٢٩ )

أوليت المراق ورافديـه \* فزاريا أخذ يد القميص

يريد : أوليتها خفيف اليد يعنى فى الخيانة فاضطرته القافية الى ذكر القميص ( ورافداه : دجلة والفرات )<sup>(١)</sup> وهذا هو التحمل السردى البعيد عن الصنعة المحمودة ، لانه لم يأت عن اسطح وسهولة ، ثم هو لم يكتف بهذا القدر من وصفه للشعر المزدول وانما يذكر سمة أخرى لـه " بأن ترى البيت فيه مقرونا بخير جاره " . ومضموما الى غير لفظه ، ولذلك قال عمرو بن لجأ لبمض الشعراء : أنا أشمر منك . قال : وم ذلك ؟ فقال : لاني أقول البيت وأخاه ، ولانك تقول البيت وابن عمه<sup>(٢)</sup> .

فالمناية بمقارنة الإبيات القرية المعنى بعضها الى بعض كان من اهتمام كثير من النقاد ، فدعوا الى مقارنة البيت بشبهه ، وأنكروا إبيات القصيدة التى تفقد الوحدة والعرايط ، وغير ذلك من وجوه الصنعة ، ومثل هذا يعنى أن الصنعة ضرورية لجودة الشعر ، ومثل هذا لا يكون الا بطول النظر وجودة التنقيح .

ومما تقدم نجد أن ابن قتيبة استخدم لفظة " التكلف " فى معنيين ، فاقترانها بالشاعر جعل لها مدلولاً خاصاً إذ استخدمها بمعنى الصنعة وطول الروية والآلة ، وهذا اتجاه مختار فى الشعر ، وقد مثل لذلك بشعر

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٨٨ . وفى ديوان الفرزدق

" أأطمعت المراق ... الخ "

" ديوان الفرزدق " . بيروت ١٣٨٠ - ١٩٦٠ م " ج ١ : ص ٣٨٩

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ٩٠

زهير والحطيئة القائم على الصناعة وطول النظر • وعندما اقترنت  
بالشعر أعطت معنى آخر حيث وصف الشعر المتكلف بأنه ردى الصنعة  
فقد تكلف الشاعر فيه مكابدة وعناء • فخرج به من سهل الكلام المألوف  
الى التعقيد المزدول • وقد ضرب مثالا على رداءة الصنعة بقول  
الخليل بن احمد :

ان الخليط تصدع \* فطر بدائكك أوقع  
لولا جوارحمان \* حور الطامع أربع  
أم البنين وأسماء \* والرباب وسوزع  
لقلت للراحل ارحل \*\* اذا بدا لك ٠٠٠٠ أودع (١)

فهو هنا يشرح المتكلف بطريقة تبين أنه يقصد بالكلمة المعنى الذي عرفت  
به في البلاغة وهو التسلل الردى اذ يقول : " وهذا الشعر بين المتكلف  
ردى الصنعة " (٢) اذ المقصود من الشعر الابانة • وتحريك النفوس • ومن  
هنا لا بد أن يتضح فيه حسن الصنعة ليحرك السامعين • وأن يتمدد  
عن اجتلاب الالفاظ الفشة المستكرهة • أما التأنيق في طلب العبارات لنفاية  
البداع فهذا ما لا يتركه الذوق لان حسن التأليف يقع من النفس أحسن موقع •

أما الشاعر المطبوع : فهو الذى ينظم على السليقة مع قدرته على الارتجال  
وسرعة خاطر التي قد تختلف من شاعر الى آخر بحسب الدوافع والبواعث  
التي تحفز لمنظم " فقد يكون من الناس من شمره في الهدية أحسن منه

(١) ابن قتيبة • الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٧٠

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ٧٠ •

فى الروية والمكس<sup>(١)</sup> . " فالمطبوع لا يتكلف الشعر تكلفا يعمده عما اراد ،  
ولا يتعب فيه بكد خاطر ، وانما يأتى عنده عن اسماح وسهولة دون اعداد  
له فيجمل من صدر بيته ما يدل على عجزه ، ورأوا من سماته انه " من سمح  
بالشعر واقتدر على القوافى ، وأراك فى صدر بيته عجزه ، وفى فاتحته ،  
قافيته ، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشى الفريزة ، واذا امتحن لم  
يتلثم ولم يتزحصر<sup>(٢)</sup> . "

وتختلف نظرة ابن قتيبة النقدى الى الطبع عنها الى الصنعة ، فهو يفتقر  
فى شعر الطبع ما لا يفتقره فى شعر الصنعة ، ولذلك اتخذ من الارتجال  
عذرا للشاعر اذا ما أخطأ ، لانه لم يعد نفسه قبل أن يشرع فى القول  
وقد التمس من ذلك عذرا للحارث بن حلزة فى مملقته التى ارتجلها والتى أقوى  
فيها حيث قال : " ولن يضر ذلك فى هذه القسيمة لانه ارتجلها فكانت  
كالخطبة<sup>(٣)</sup> " وهذا لا يعنى ان الشاعر المطبوع ينظم كيفما اتفق ، وفى  
أى وقت أراد ، وقد ادرك ابن قتيبة ذلك وتنبه الى اختلاف الشعراء فى  
الطبع وفقا لطبائهم . فالطبع الشعرى فردى يختلف من شاعر لشاعر ،

---

(١) أسامة بن منقذ . البديع فى نقد الشعر . ( مصر ٢٣٨٠ / ١٩٦٠ م )  
ص ٢٩٦ . قوله : " والمكس " موضع نظر : فالمعروف عن الرواية  
والالانة فى الشعر أن يخرج الشعر جيدا مستويا محكما .  
(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٩٠ .  
(٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٩٨ .

لان الفنان يختلف في ميوله تبعاً لطبعه ومزاجه ، كما أن السلوك الشخصي  
للشاعر قد لا يؤثر على منجاءه في الشعر ، فقد يكون شاعراً متحلاً لا  
لا يحسن القول في الفزل ، وقد نجد المكس ، ومن الشعراء من  
يحسن القول في غرض دون غرض ، كما أن منهم من تشتد عنايتهم بفرض واحد  
فيؤليه الشاعر اهتمامه حتى يبرز فيه وحتى تكون جميع الأغراض التي نظم  
فيها لا ترقى إلى درجة الفن الذي أولاه اهتمامه فمرف به ، فمن الشعراء  
من برز في شعر الحرب مثلاً كمتنرة ومنهم من جعل الهجاء همه ووكد كالحطيئة  
كما اشتدت عناية البحتري بالأوصاف ونهج المتنبي نهج زهير في الأمثال .  
فأساليب الشعر والاجادة فيه تتنوع بحسب مسالك الشعراء في كل طريقة من  
طرقه ، ولا يقتصر هذا الاختلاف على الشعراء فحسب بل أن الشعر نفسه  
يختلف أيضاً بحسب اختلاف طرقه ، فهناك أغراض تحتاج إلى الجزالة والمثانة  
في الطريقة وغيرها يحتاج إلى الرقة والسلاسة وما إلى ذلك ، كما أن للبيئة  
أثرها في ذلك فقد يستطيع البدوي الذي يسكن الصحراء أن يصف ما تقع  
عليه عينه من المياه الجارية والليل ، وحالة التنقل ، ووصف الديار فيكون  
شعره صورة صادقة للحياة التي يحياها ، ثم انصجد مماناة حينما  
يأتى ليتفنى بأشياء لم يألها من قبل وقد لا يوفيقها حقها . والشعر أيضاً  
يخضع لظروف وأحوال قائله فمنهم من يحسن القول في الفخر ولا يحسن  
في الاستجداء وقد يكون المكس . وهكذا يبدو لنا أن هناك تحكما من جانب  
الطبع في الشاعر . " فمنهم من يسهل عليه المديح ويمسر عليه الهجاء  
ومنهم من يتيسر له المراثي ويتمذر عليه الفزل " (١) وقد ضرب ابن قتيبة على ذلك

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٩٣ - ٩٤

مثلا من أروع الأمثلة على نقده النظرى " فهذا ذو الرمة أحسن الناس تشبيها ، وأجودهم تشبيها ، وأصفهم لرمل وهاجرة وفلاة وما ، وقراد وحية فاذا صار الى المديح ، والهجاء خانه الطبع . وذاك أخره عن الفحول فقالوا : فى شعره أبحار غزلان ونقط عروس : وكان الفرزدق زير نساء ، وصاحب غزل ، وكان مع ذلك لا يجيد التشبيب ، وكان جرير عفيفا عزهاة عن النساء ، وهو مع ذلك أحسن الناس تشبيها ، وكان الفرزدق يقول : ما أحوجه مع غفته الى صلابة شعرى وما أحوجنى الى رقة شعره (١) لما ترون .

لقد تحدث ابن قتيبة عن امارات الشعر المتكلف ، ولم يتطرق لأمارات الشعر المطبوع لان ميادين الطبع كثيرة ومتنوعة لكنه أورد بعض السمات العامة للشعر المطبوع فى حديثه عن الشعراء المطبوعين ، فهو الذى صدر عن اسماح وسهولة ، وأفاد الإبانة وكان قريب المأخذ بحيث يكون بين الالفاظ تقارب يبين ارتباط بعضها ببعض مع الترتيب المحكم ليزيد الكلام بيانا وحسن ديباجة واستدلالا بأوله على آخره ، وان تكون العبارات جزالة مستمدة ذات طلاوة تتبين عليها . رونق الطبع ووشى الفريزة .

لقد عالج ابن قتيبة نظرية لها قيمتها النقدية لانها تتصل بالرجح والشعور ففرق بين نوعين من الشعراء : هما شعراء الصنعة وشعراء الطبع ، كما فرق بين نوعين من الشعر : هما الشعر المتكلف والشعر المطبوع ، ولقد كان مجيدا فى نقده النظرى حينما عالج نظرية الطبع والصنعة وقد حاول أن يطبق

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج ١ : ص ٩٤ .

لنظرة النقدية التي اوضحناها فما لبه ذوقه واختياره الى أن يورد أكثر من شاهد ولنا على انعدام الذوق في نقده التطبيقى ، وهذا لا ينفى أن يكون له نقد جيد ، فقد كانت له اختيارات موفقه في كثير من المواطن الاستشهادية ذكرناها له في مواضعها ، الا أن من تلك الشواهد التي تبين لنا أن نقده العملى ردى تلك الإبيات الرديئة التي استشهد بها على المطبوع من الشعر ، وهى ابيات لابن مطير لم تتضمن تلك الصفات التي عددها للمطبوع من الشعر. فمن ملاحظاتنا على هذه القصيدة : أن الشاعر لم يصف المطر بدافع منه وانما طلب اليه ذلك ، وقد يكون غير متبين أولم تكمل عنده الدوافع التي تحفزه على قول الشعر حينذاك بل أراد أن يلبس طلب الوالى ، وقد يكون الفرق واضحا بين من ينظم الشعر على الهاجس وبين من يطلب اليه قول الشعر ، لأن الأخير قد يضطره الامر الى التكلف البعيد وذلك يخرج به هذا التكلف عن رونق الطبع ووشى الفريزة (١) واننى أورد الإبيات كاملة لتبين ما فيها من تكرير للحرف الواحد في البيت الواحد مما يثقل كاهل الشعر ، وتمجه النفس ولا تستريح لسماعه الاذن ، وعلى هذا فهو لم يصدر عن ذلك الطبع الذى تحدث عنه ابن قتيبة ، وهو الاقتدار على القوافى ، وأن يجعل من صدر بيته ما يدل على مقصده مع توضيح الفكرة التي يتحدث عنها الشاعر . لقد اتعب الشاعر فكره فتكلف في توليد الصيغ النابية ومع ذلك يصفه ابن قتيبة بأنه " كثير الوش لطيف المعاني " أما الأبيات التي أوردناها فهى :-

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٩٢



|                            |   |                                        |
|----------------------------|---|----------------------------------------|
| كثرت لكثرة قطره أطباءه     | * | فاذا تحلب قاضت الأطباء                 |
| وكجوف ضرته التي في جوفه    | * | جوف السماء سبحة جوفاء                  |
| وله رباب هيدب لرفيفه       | * | قبل التبعق ديمة وطفاء                  |
| وكان بارقه حريق يلتقى      | * | ربح عليه مرفح — والاء                  |
| وكان ريقه ولما يحثفل       | * | ودق السماء عجاجة كدرا                  |
| مستضحت بلوامع مشمير        | * | بمدامع لم تمرها الأقذاء                |
| فله بلا حزن ولا بمرة       | * | ضحك يؤلف بينهم وكاء                    |
| حيران متبع صباه تقوده      | * | وجنوه كف لموعساء                       |
| ودنت له نكباؤه حتى اذا     | * | من طول ما لمبت به النكباء              |
| ذاب السحاب فهو بحركله      | * | وعلى البحور من السحاب سما              |
| ثقلت كلاه فنهرت أصلابه     | * | وتجمعت من مائه الأحشاء                 |
| غدى ينتج بالاباطح فرقا     | * | تلد السيول ومالها أسلاء                |
| غر محجلة دوالح ضمنت        | * | حمل اللقاح وكلها عذراء                 |
| سحم فهن اذا كظمن فواحم     | * | سود وهن اذا ضحكن وضاء                  |
| لو كان من لجج السواحل ماؤه | * | لميق من لجج السواحل ماء <sup>(١)</sup> |

من ذلك نرى أن الاستعارات مع كثرتها وطفياستها على القصيدة غير لائقة لما استميرت لها التشبيهات متكلفة حتى لتجد غثاء ينفر منها الذوق اذ القصد من الشعر تحريك النفوس ، ولغو القصد عن طريق أخذ المفهوم المعانى وترتيب الالفاظ وتجانسها مع بعضها البعض مع عدم الاغراق فى الوصف الذى

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ٠ ج ١ : ص ٩١ — ٩٢ .

يمسح الشعر رونقه ويذهب بطلاوته • وإذا كان الحرص قائما على استعادة الجمهور للكلام فإن ابن قتيبة باستشهاده المتقدم لم يراع ذلك الحرص وإنما جمل الاستسلام للخواطر الأولى سواء أدت مهمتها الفنية أم قصرت عن أدائها • فهذا الشعر كما ترى لم يكلف صاحبه مؤونة الكد في تثقيقه وتقويمه لأنه ارتجله فهو وليد الساعة ولم ترتسم عليه علامات الطبع لأنه لم يأت مهذبا نقيا ولو أنه استشهد مثلا بقصيدة الحارث بن حلزة اليشكري :  
(١)  
أذنتنا ببينها أسماء \* رب ثا ويمل منه الثواء •  
(٢)

والتي ارتجلها بين يدي عمرو بن هند ارتجالا لطبق المفصل ، لأن المسببات والبواعث متوفرة لدى الشاعر ، فجاءت قصيدته حسنة مستعذبة لأنها صدرت عن سليقة فياضة ودافع فردى صادر عن الشاعر نفسه ، فأنت الفاظه متتابعة في سهولة وسر وتدفق فصدر شعره عن فطرة واسماح •  
لقد بين ابن قتيبة أمارات الشعر المتكلف فأجاد ، وكانت خطوته في ذلك موفقه تدل على قدرته الأدبية وسعفه ، وجعل تلك الأمارات واضحة يميزها كل من له علاقة بصناعة الشعر كما أصاب في بيان خصائص الشعر المطبوع ولكنّه عندما أراد أن يطبق لنقده ومفهومه للشعر المطبوع أخطأه التوفيق ولم يحالفه الحظ فلقد كانت ثقافته واسمته هله لأن يتصدى لقضايا النقد الأدبي إلا أن ذوقه أحيانا لا يؤهله لذلك كما بينا ذلك في نقده التطبيقى حينما تصدى لنظرية المتكلف والمطبوع من الشعر •

(١) هناك استشهادات كثيرة لخصائص الشعر المطبوع ، وإنما اقتصرنا على قصيدة الحارث بن حلزة لأنها تمثل ما أراده ابن قتيبة من الشعر المطبوع الذي يأتي على البديهة بسرعة الخاطر •

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج ١ : ص ١٩٧ •

## الفصل السادس

=====

موقف ابن قتيبة

من القديم والحديث

=====

من القضايا النقدية الهامة التي شغلت أفكار النقاد القدماء زمنًا طويلاً قضية القديم والحديث في الشعر ، وقد اختلف أولئك النقاد في تحديد فترة كل منهما ، كما اختلفت مواقفهم بالنسبة لكل منهما . فبعضهم نظر إلى القديم على أنه الشعر الجاهلي ولذلك لم يرقه أن يستشهد بببيت إسلامي ، كما فعل أبو عمرو بن الملاء الذي قال عندما سئل عن شعر الأخطل : " لو أدرك يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً . . . . . وكان يرى الفرزدق . . . . . وجريراً . . . . . كان يراهما وأشباههما من المحدثين فيعرض عن شعرهم مع إقراره بوجودته " (١) ويقول الاعمش : " جلست إلى أبي عمرو بن الملاء عشر سنين فما رأيته يحتج بببيت إسلامي " (٢)

أما ابن الأعرابي فقد عرضت عليه أرجوزة لأبي تمام على أنها لبعض شعراء العرب الأقدمين :

وعاذل عدلته في عدله \* فظن أني جاهل من جهله

فقال : " هذا هو الدياج خسرواني ، فقيل له : أنها لأبي تمام ، فقال على الفور : من أجل هذا أرى عليها أثر الكلفة " (٣) وكان يقول : "

(١) على المصاري : الصراع الأدبي بين القديم والجديد مصر ١٣٨٤هـ ٧٦

١٩٦٥م

(٢) المصدر السابق : ص ٧٦

(٣) المصدر السابق : ص ٧٧

" انما اشعار هؤلاء المحدثين - مثل أبي نواس وغيره - مثل الريحان  
 يشم يوما ويذوى فيوم به هـ واشعار القدماء مثل المسك والعنبر كـ  
 حركته ازداد طيباً " (١) فهو يشير الى أن ابا نواس يمثل مذهب المجددين  
 في الشعر هـ وضرب الاصمى في هذه القضية بسهم فقد كان يقول : " بشار  
 خاتمة الشعراء والله لولأن أيامه تأخرت لفضله على كثير منهم " (٢) فجعل  
 الفضيلة للزمن هـ وقد كان ذلك دأب الرواة والفقيين هـ فاذا ما مضينا  
 الى ابن قتيبة رأيناه يشير الى أن القديم هو ما سبق زمن الناقد أيا كان  
 والحديث هو ما قيل في عصره هـ أو قريباً منه يقول : " فاني رأيت من علمائنا  
 من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله هـ ويضعه في متخيره هـ ويرذل الشعر  
 الرصين ولا يعيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله " (٣) ثم يقول :  
 " وجعل " الله " كل قديم حديثاً في عصره هـ وكل شرف خارجية في  
 أوله هـ فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدون محدثين ٠٠٠ ثم  
 صار هؤلاء قديماً عندنا ببعده العهد منهم وكذلك يكون من بعدهم  
 لمن بعدنا هـ كالخريمي هـ والمتأبى هـ والحسن بن هاني هـ وأشباههم " (٤) وقد  
 تجسد تحديد هذه المدرسة بعهده بشار عند رجل متأخر عن ابن قتيبة  
 وهو الصولي حيث يقول : " ان الفاظ المحدثين منذ عهد بشار الى وقتنا  
 هذا كالمتقلبة الى معان أبداع " (٥) على أن هذه المدرسة البيانية التي تفتنت  
 في البديع بدأت ببشار الذي كان يعد رأساً لها هـ وكان من أبرز رجالها

(١) المرزباني : الموشع : ص ٢٢٣ .

(٢) علي المماري : الصراع الادني بين القديم والجديد : ص ٧٧ .

(٣) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٦٢ - ٦٣ .

(٤) المصدر السابق : ج ١ : ص ٦٣ .

(٥) الصولي : اخبار ابي تمام ( القاهرة ١٣٥٦ هـ ص ١٦٠ )  
 ١٩٣٧ م

ابن هرمة والمتابى ، و منصور النمرى ، وأبو نواس ، ومسلم بن الوليد ، وأبو تمام ، وكانت موضع انتقاص أمام انصار القديم .

وقد رأى كثير من الباحثين المحدثين فى النقد أن فى موقف الرواة واللفويين تمصبا للقديم ، واستشهدوا على ذلك بأعراضهم عن شعر أبى دؤاد وعدى بن زيد التميمى ، وأعراض أبى عمرو خاصة عن شعر الشعراء الاسلاميين ، يقول الصمارى : " وأول حرب علمناها على الجديد فى الأدب العربى هى أعراض الرواة عن رواية شعر أبى دؤاد الأيادى وشعر عدى ابن زيد التميمى لمخالفتها — كما زعموا — مذاهب الشعراء " .<sup>(١)</sup> ولذلك يبدو لأول وهلة أن موقف الرواة واللفويين فى هذه الخصومة يوحى بالانصب للقديم ، غير أننا إذا انعمنا النظر فى موقفهم ذاك رأينا أن الفرض منسبه موافقة اللغة فقط ، وقد بين ابن رشيق أن موقفهم لم يكن لشيء " إلا حاجتهم فى الشعر الى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتى به المولدون " .<sup>(٢)</sup>

ثم يذكر الدكتور عز الدين اسماعيل السبب نفسى يقول : " وقد يكون تفضيل القديم قد جاء من وجهة نظر لغوية يحت . هى أن اسلم اللغة ما تكلم به القدماء " .<sup>(٣)</sup>

فالمصر الاموى وصدر المصر العباسى لم يشهدا صراعا بين القديم والجديد . فكل ما هنالك أن الرواة فى دراستهم للغة احتجوا بالقديم ، ولم يحتجوا

(١) على الصمارى : الصراع الادبى بين القديم والجديد : ص ٧٥

(٢) ابن رشيق : المصداة ج ١ : ص ٩١

(٣) د . عز الدين اسماعيل : الأسس الجمالية فى النقد العربى ص ١٩٠

بالحديث لدخول غير العرب في العرب فظن هؤلاء الباحثون أن ذلك  
تمصبا للقديم .

فالصراع بين القديم والجديد إنما كان في العصر العباسي ، فقد  
سأير الشعر العربي الحياة الجديدة ، وأخذ الشعراء يصورون الحياة  
الحضرية المترفة ، مع تطويرهم للأغراض الشعرية التي طرقها القدماء بما  
يتلاءم مع الحياة الجديدة . فما هي إذن مظاهر التطور والتجديد في  
الشعر العباسي ؟ . لا شك أن الشعراء في هذا العصر أبدعوا في الحدود  
التي رسمها القدماء ، وصوروا الحياة الجديدة أحسن تصوير ، فقصود  
وسمت آفاقهم الثقافات الأجنبية ، فكان هذا العصر يحق ، عصر الحضارة  
والثقافة ، والترجمة ، استجاب الأدب العربي فيه لمطالب المجتمع الجديد  
بسبب اتساع الحضارة الإسلامية ، ومن ثم اتسم شعرهم برقة العبارة ، وتعميق  
المعاني ، والبعد عن السطحية ، فقد " قام على صناعة الشعر أمشاج من  
العرب والموالي ، فكان طبيعيا أن تتطور صورته ، وأن تختلف عن صورة الشعر  
القديم ، الذي كان يستمد من علاقات البادية وصلاتها الحسية والمعنوية ."  
(١) فأخذوا يزخرفون الصياغة ، ويممنون في الاستمارة ، وهذا مذهب جديد  
في الشعر العربي ، ولم يقف التجديد عند حد الصياغة ، بل تعداهما  
إلى محاولات أخرى تتصل بأغراض الشعر وأوزانه " فاهتدى بشار المصيصي  
أوزان جديدة نظم منها نظرفا " (٢) ولعل أبا المصاهيه أقرب المحدثين

(١) د . شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ( مصر / ١٩٦٩ ) ص ٩١

(٢) طه أحمد إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٩٩ .

الى هذا الاتجاه " وكان لسرعته وسهولة الشمر عليه ، ربما قال شعرا  
موزوناً يخرج به عن اعراض الشمر واوزان العرب <sup>(١)</sup> . هذا بمقتضى  
ما وصل اليه المحدثون من تطوير فى الشمر العربى ، وقد رأى المحافظون  
من هذا التطوير أن المحدثين قد انحرفوا فى صناعتهم عن التقاليد  
الشعرية التى ورثوها عن القدماء ، فالقدماء والمحدثون متماصرون ، -  
وهم من الأدباء وليسوا من النقضاد ، ومنذ ذلك الحين صار للشعراء  
مذهبان . المذهب الأول وهو مذهب طائفة المحافظين الذين احتشدوا  
القدماء فى منهجهم ، محاولين التمسك بما سقى فيما بعد بممود الشمر  
فمن " بنى شعره عليها فهو عندهم المفلق الممظم ، والمحسن المقدم <sup>(٢)</sup> . -  
والمذهب الآخر وهو مذهب المحدثين الذين انحرفوا " فى صناعتهم  
عما يقتضيه عمود الشمر من اصول <sup>(٣)</sup> ، وكان ذلك بطبعه مدعائلى اختلاف  
النقاد تبعا لذلك ، فأخذوا ينظرون فى المذهبين الشعرين أيهما  
يفضل الآخر ؟ فاحتدمت الخصومة بين موقف المحافظين ومذهب  
المجددين ، وأصبح لكل منهما انصاره الذين يدافعون عنه .

وقد تناول ابن نواس جانباً من جوانب هذه الخصومة ، فحاول أن يصرف  
الشعراء عن المطالع القديمة للقصيدة العربية التى كانت ظاهرة عامسة  
فى شعر الجاهليين والاسلاميين ومحاولة استبدال تلك الديباجة الطللية  
بأخرى تناسب الحياة الحاضرة فى عصره ، فانقسم الناس ازاها بين مؤيد

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ج ٢ : ص ٧٩١ .

(٢) المرزوقى : الحماسة ج ١ : ص ١١٠ .

(٣) د . محمد قنيس هلال : النقد الادبى الحديث ( القاهرة ١٩٦٤ م -  
ص ١٧٨ .

لهذه الظاهرة على أنها دعوة إلى الخسارة في الإنتاج الفني ، لأن —  
المطالع التقليدي للقصة المربية لا تعب عن مشاعر المحدثين ولا عواطفهم  
تعبيرا صادقا ، وأن طرق القداما ، ومناحيهم لا تنهض الآن بتصوير الحياة  
التي يحياها الشعراء في العصر العباسي . وبين معارض يرى في ذلك  
تمصبا شعوبيا ضد العرب وسخرية من التقاليد الشعرية المربية . فحاولته  
لم تكن أدبية خالصة ، وإنما كانت شعوبية متمصبة على العرب هازئة بتقاليدهم  
لأنه لم يصنع شيئا فنيا في دعوته . فالوقوف على الحانات بدلا من الوقوف على  
الديار ليس تجديدا في الطريقة الفنية ، وإذا كان أبو نواس قد مال إلى الخمر  
ليجعلها دياجسة حضرية يفتح بها قصائده كما في قوله :

(١) صفة الطلوك بلاغة القدم \* فاجمل صفاتك لابنه الكرم

فقد سبق إلى هذه الدياجسة منذ العصر الجاهلي ، فعمرو بن كلثوم الشاعر  
الجاهلي بدأ معلقته بوصف الخمر حيث قال :

(٢) الأبي بصحنك فاصبحينا \* ولا تبقى خمور الاندرينا

وقد اخفقت تلك الحركة التي نادى بها أبو نواس " ولم تستهوا من الشعراء  
إلا نفر يسيرا من الذين لا يمتون بنسب إلى شبه جزيرة العرب ، وليس  
لهم فيها ذكريات ولا رفات " (٣) وقد أخذ نقاد العرب المحافظون يدافعون  
عن كل ما هو قديم وينظرون إلى المجددين نظرة انتقاس فأقاموا بذلك نظريتهم  
في عمود الشعر التي تقوم على رعاية مجموعة من التقاليد الشعرية التي ورثوها  
عن المصور الأولى للشعر — العصر الجاهلي ، وعصر صدر الإسلام ، والعصر

(١) الصولى : أخبار أبي تمام . ص ١٦  
(٢) البغدادي . خزنة الأدب . " تصوير بيروتيون تاريخ " ج ١ . ص ٥١٧  
(٣) طه أحمد إبراهيم . تاريخ النقد الأدبي عند العرب . ص ٩٦ .



الأمرى تقريبا - هذه التقاليد الشعرية التي دعوا الى رعايتها ، ومنها ما يرجع الى اللفظ فتطلبوا فيه ، الجزالة والاستقامة ، والمساكلة للمعنى وشدة اقتضائه للقافية ، ومنها ما يرجع الى المعنى الجزئى ، فكانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، والاصابة فى الوصف ، أما فيما يتصل بالمعنى الجزئية واتصال بعضها ببعض ، فقد طلبوا المقاربة فى التشبيه ، والتحام اجزاء النظم والتسامح ، ومناسبة المستعار من المستعار له ، فهذه هى خصال عمود الشعر نظرا اليها نظرة احترام ، فكان موقف المتمسكين بعمود الشعر موقفا تقليديا محافظا . وقد رأى المحدثون فى تلك التقاليد الموروثة عائقا يقف فى طريق تطور الشعر العربى ، فاستمرت الخصومة بين المحافظين والمجددين محتدمة حتى القرن الثالث الذى اصبح النقد فيه متمسباً الجوانب متباين الاتجاهات وتأثرا بكل مظاهر العصر ، فكان هناك الاتجاه اللغوى الذى قام على خدمة اللغة ، واتجاه الادباء والشعراء الذين اهتموا بالمحدث واولوه عنايةكبيرة ، والاتجاه الثالث الذى تأثر اصحابه بالتراث اليونانى وحاولوا أن يضموا حاييس ثابتة للنقد الادبى تعتمد التقنين والتقييد ، والاتجاه الرابع المتمثل فى مذهب الملما الذين جمعوا بين القديم والحديث فى اعتدال فقد اخذوا نصيبا كبيرا من التراث الهيرسلى قديمه وحديثه وتأثروا بالعلوم الاجنبية كالفلسفة والمنطق ، وقدونوا الأفكار النقدية التى وصلتهم من القدماء فى شىء من الترتيب والتنظيم ، ووضعوها فى أصول وقواعد ثم اضافوا اليها بعض النظرات النقدية الحديثة التى اهتموا اليها فجاء لهم ذوق خاص فى نقد الادب وكانوا معتدلين فى

نظراتهم وفي احكامهم النقدية وقد نشأ هذا الاجاه في خضم الممركة  
التي دامتمنا طويلا قبل ابن قتيبة والقي دارت رحاها بين القديم  
والحديث فلم يلب دورا في تحقيق المساواة بين الفريقين المتنازعين  
حتى حقق هدفه ، وبدأ القديم والجديد يتساويان فيما يستحقانه من  
استحسان واستهجان . الا ان اكثر الدارسين للنقد العربي يرون ان اول  
من بدأ هذا المفهوم هو أبو محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة يقول  
الدكتور عز الدين اسماعيل : " بدأ القديم والجديد يتساويان أمام  
اكثر نقاد القرن الثالث فيما يستأهلان من استحسان واستهجان ، وموسود  
هذا المفهوم الذي بدأه ابن قتيبة " (١) ويقول الدكتور محمد زغلول سلام  
في حديثه عن النقاد الذين وقفوا موقفا وسطا من التراث يقول : " أولهم  
ابن قتيبة وقف بين القدماء والمحدثين ، وحاول أن ينصر قضية الشمس  
الحديث والشمراء المحدثين بعد أن كان النقاد وعلماء اللغة ورواة الشعر  
يفمطونهم حقهم " (٢) وقد فات هؤلاء الدارسين وغيرهم أن موقف ابن قتيبة  
من القديم والجديد هو موقف ابرز نقاد القرن الثالث . فهي اذن فكرة  
المصر التي تبلورت في الازهان بدأها الجاحظ ونماها ابن قتيبة وأدلى  
بدلوها فيها المبرد ، وسار على نهجهم بعد ذلك الجرجاني . فقصد  
اهتم الجاحظ بالشعر المحدث الى جانب احترامه للتراث القديم وحاول  
في اعتدال وقصد أن يقف منهما موقفا توفيقيا ، فنراه حينما يتحدث عن شعر  
أبي نواس يقول : " وان تأملت شعره فضلته الا أن تمترض عليك فيه العصبية

(١) د . عز الدين اسماعيل . الاسس الجمالية في النقد العربي : ص ١٩٢

(٢) د . محمد زغلول سلام . تاريخ النقد العربي ( مصر ١٩٦٤ م ) ص ٢١٩

أوترى أن أهل البدو أبداً أشعر وأن المولدين<sup>(١)</sup> لا يقاربونهم في شئ  
فإن اعترض هذا الباب عليك فأنك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغفلًا<sup>(٢)</sup>  
ثم نراه يملن موقفه صراحة في قوله : " وقد رأيت أنا ما " منهم " يسهرجون  
أشعار المولدين ، ويستسقطون من رواها ، ولم أر ذلك قط إلا في رواية للشعر  
غير بصير بجوهر ما يروى ، ولو كان له بصر ، لعرف موضع الجيد من كان  
وفي أي زمن كان<sup>(٣)</sup> .

ونجد هذا الموقف المادل أيضاً عند رجل كالجرد الذي عاصر ابن قتيبة  
فتأثر بربح المصراذ يقول : " وليس لقدم المهد يفضل القائل ، ولا لحدثان  
عهد يهتضم المصيب ولكن يعطى كل ما سيتحد<sup>(٤)</sup> " .

فالجاحظ والجرد يتفقان مع ابن قتيبة في هذا الموقف إلا أن ابن قتيبة  
أبين منهما في التعبير وأكثر اسهاباً ، لأن موقفه يتمثل في الانتصاف للحديث  
من أنصار القديم فكانت للحديثين عنده رعاية فترجم لكثيرين منهم فحطهم  
بذلك القيود التقليدية المحافظة فهو في هذه القضية ناقد متفتح ، يتسم  
نقده بالموضوعية ، فإذا كان الجاحظ قد بدأ الفكرة ، فإن ابن قتيبة كان لسه

(١) المولد : الشئ المحدث من كل شئ ( انظر الفيروز ابادى . القاموس  
المحيط . ج ١ : ص ٣٦٠ ) . وقيل المولد في الأصل من ليس خالص  
المروية من جهة أمه وأبيه فلما كثر غير العرب في العصر العباسي اتسع  
الاصطلاح فأصبح المراد به كل شاعر أدرك الدولة العباسية ، ولو كان  
عربياً صليماً ، لأن من ضمهم هذا العصر من الشعراء تثقفوا ثقافة واحدة  
عربية كانت أم أعجمية .

(٢) الجاحظ . الحيوان : ج ٢ : ص ٢٧

(٣) الجاحظ . الحيوان : ج ٣ : ص ١٣٠

(٤) الجرد : الكامل : ج ١ : ص ١٨

القول الفصل فيها ، فقد فحص القديم وعدل الاحكام الجائرة التي اصدرها  
انصاره على المحدثين ، وكان شجاعا في هذا الاتجاه حيث بين كل جوانب  
القضية واصر حكمه العادل فيها ، وكان صائها في ذلك الحكم ماذ يقول :  
" ولم أسلك فيما ذكرته من شمر كل شاعر مختارا لمسبيل من قلد ، أو استحس  
باستحسان غيره . ولا نظرت الى المتقدم منهم بمعين الجلالة لتقدمة والى  
التأخر منهم بمعين الاحتقار لتأخره . بل نظرت بمعين المدل على الفريقين ،  
واعطيت كلا حضه ، ووفرت عليه حقه . " (١) فقد كان مستقلا في ذوقه فلم  
يخضع لتقاليد سابقه ، فبدأ يعيب على بعض علماء عصره استنزاهم للشمر  
المحدث الرصين لمجرد انه قيل في زمانهم ، أو أنهم رأوا قائله ، وهم  
في ذلك لا يعتمدون اساسا فنيا يبنون عليه انكارهم للمحدث وتقديسهم  
للقديم وهذا الموقف حدا بهم الى تقديم الشمر السخيف على الشمر الرصين  
بقارق الزمن فهو يقول : " فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشمر السخيف  
لتقدم قائله ويضعه في متخيره ويرذل الشمر الرصين ، ولا عيب له عنده  
الا أنه قيل في زمانه ، أو أنه رأى قائله " (٢) فاللمسبحانه وتعالى " لم يقصر  
المعلم ، والشمر ، والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم  
بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباد في كل دهر ، وجعل كل قديم  
حديثا في عصره ، وكل شرف خارجية في أوله ، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل  
وأمثالهم يعدون محدثين . . . ثم صار هو لا ، قدما عندنا بعمد المسند منهم  
وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا ، كالخريص والمتأني ، والحسن بن هاني

(١) ابن قتيبة : الشمر والشمر : ج ١ : ص ٦٢ :

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ٦٢ - ٦٣ .

وأشباههم . فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له ، وأتينا به عليه ، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ، ولا حداثة سنه ، كما أن الردى إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه<sup>(١)</sup> .

فالجودة عنده هي المقياس الذي يبتنى عليه الحكم ، فمضى كان الشمر جيداً حسناً ذكره لصاحبه دون النظر إلى مكانته الزمنية أو الشخصية ، فخلع بذلك عن نفسه رداء المصيبة وتجرد عن الهوى ، فقد يكون للمحدث الشمر الرصين والمعنى الجيد كما يقول الصولى فى حديثه عن الشمر<sup>(٢)</sup> المحدثين . . . . . وقد وجدنا فى شمر هؤلاء - المحدثين - معانى لم يتكلم القدماء بها ومعانى أو ما والىها فأتى بها هؤلاء واحسنوا فيها<sup>(٣)</sup> .

وقد سار على منهج الممتدلين فى هذه القضية كثير من النقاد ممن أتى بعدهم لان الفكرة اصبحت واضحة امامهم ، فعبد المزيز الجرجاني يرى - أن الشمر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكا ، ثم تكون الدراسة مادة له ، وقوة لكل واحد من اسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، ومقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان ولست افضل فى هذه القضية بين القديم والمحدث ، والجاهلى والمخضرم والاعرابى والمولد . . . ونظر الباقلاى للقديم والحديث نظراً<sup>(٣)</sup> موضوعية حيث قال : " طريقة الشمر شريعة مورودة ، ومنزلة مشهودة ، يأخذ

(١) ابن قتيبة ج ١ : ص ٦٣

(٢) الصولى : اخبار اربى تمام ص ١٧

(٣) على بن عبد المزيز الجرجاني : الوساطه بين المتنبي وخصومه ( مصر سنة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م ) ص ١٥

منها أصحابها على مقادير اسبابهم ، ويتناول منها ذروها على حسب —  
 أحوالهم . وأنت تجد للمتقدم معنى قد طمسه المتأخر بما أبر عليه —  
 فيه ، وتجد للتأخر معنى قد اغفله المتقدم ، وتجد معنى قد توافدا  
 عليه وتوافيا اليه ، فهما فيمشركا عنان<sup>(١)</sup> . ثم نجد ناقدًا متأخرًا عائس في  
 نهاية القرن السابع الهجري يتحدث عن القضية ومعالجتها بنفس الفكرة  
 التي عالجها بها ابن قتيبة ذلك الناقد هو حازم القرطاجني المتوفى  
 سنة ٦٨٤ هـ . الذي يرى أن " من يذهب الى تفضيل المتقدمين على  
 المتأخرين بمجرد تقدم الزمان فليس ممن تجب مخاطبته في هذه الصناعة  
 ، لانه قد يتأخر أهل زمان عن أهل زمان ثم يكونون اشهر منهم لكون زمانهم  
 يحوش عليهم من اقناس الممانى بسفوره لهم عن اشياء لم تكن في الزمان  
 الاول ، ولتوفر البواعث فيه على القول وتفرغ الناس له<sup>(٢)</sup> .

من ذلك نرى أن النظرة في القديم والجديد أصبحت نظرة موضوعية  
 وأن الحكم فيها أصبح واضحًا لا غار عليه ، وأن ابن قتيبة كان رائد  
 الذين تمرضوا لها ، إلا أن الشئ الغريب الذي نجده عند  
 أن تلك الخصومة اكثرت ما قامت حول شاعرين مشهورين هما البحتري وأبو تمام<sup>(٣)</sup>  
 فالبحتري كان يمثل القديم لانه تمت بقواعد عمود الشعر بينما كان أبو تمام  
 يمثل حركة الحديث عندما أفرط في الاستعارات البعيدة ، فاتخذ لنفسه

(١) الباقلائي : اعجاز القرآن : ص ١٨٣

(٢) القرطاجني : منهاج اليلقاء وسراج الادباء ص ٣٧٨

(٣) لم يورد ابن قتيبة للطائيين أشعارا في كتبه الادبية المتقدمة  
 كتاب المعاني الكبير وكتاب الشعر والشعراء ، وكتاب ادب الكاتب  
 غير انه في كتاب عيون الاخبار استشهد للبحتري في موضعين فقط  
 ( ج ١ : ص ٢٣٢ و ج ٣ : ص ٢٤ ) ولأبي تمام في اكثر من  
 ثلاثين موضعا .

مذهبها جديدا في الشعر العربي ، وان ابن قتيبة لم يتعرض لهذين -  
الشاعرين في كتاب الشعر والشعراء ، وهذه المسألة تحتاج الى أن نقف -  
عندها لتبين الاسباب التي جعلت ابن قتيبة يستبعدهما من كتابه ، مع  
ان ابا تمام من شعراء المعاني ، وابن قتيبة يهيمه الممى كثيرا ، بينما  
كان البحتري يشكو من طغيان المنطق على الشعر حيث يقول :

|                                               |   |                                             |
|-----------------------------------------------|---|---------------------------------------------|
| كَلَفْتُمُونَا حَدُودَ مَنْطَقِكُمْ           | * | فِي الشَّعْرِ يَلْفُ عَنْ صَدَقَةٍ كَذِبَةٍ |
| وَلَمْ يَكُنْ ذُو الْقُرْبَىٰ يَلْمُ بِالْمَن | * | طَقَ مَا نَوْعُهُ وَمَا سَبَبُهُ            |
| وَالشَّعْرُ لَمْ تَكُ أَشَارَتُهُ             | * | وَلَيْسَ بِالْهَزَرِ طَوَّلُ خَطْبِهِ       |

(١)

وابن قتيبة يعيب على معاصريه توغله في المنطق لانه رأى أن ارفع درجاً لطيفهم " أن يطالع شيئاً من تقويم الكواكب وينظر في شيء من القضاء وحد المنطق " (٢) كما عاب عليهم انهم كانوا لا يحفلون بالشعر الذي سبقهم زمن قائل بمقترة قليلة أرواوا قائله فقد اصبح التقارب اذن واضحاً بين الشاعرين وابن قتيبة مما يدعوه الى أن يترجم لهما بالإضافة الى كونهما شاعرين مشهورين ملاء الدنيا بشعرهما • فهل كانا متأخرين عن الشعراء الذين حفل بهم وترجم لهم ؟ لقد توفي ابو تمام سنة ٢٣١ هـ بينما نجد أن ابن قتيبة قد ترجم لدعبل الخزاعي المتوفى سنة ٢٣٥ هـ أي بعد وفاة ابي تمام بأربعة أعوام • اما البحتري فقد عاش ابن قتيبة وتوفي بعده سنة ٢٨٤ هـ •

(۱) البحتري . ديوانه : " مصر ۱۳۲۹ هـ / ۱۹۱۱ م (ع ۳۸)

(٢) ابن قتيبة : ادب الكاتب : ص ٣

قد يخيل الى أن موقفه هذا كان متعمدا . وربما كان ذلك راجعا الى أن الرأي في هذين الشاعرين لم يستقر بعد ، وأن اتجاهيهما كانا موضع أخذ ورد بين النقاد . وقد كان بعض النقاد وخاصة اللغويين منهم يخشى من السدة الشعراء إذا هو تعرض لشعرهم بالنقد . سئل أبو عبيدة " أى الرجلين أشعر أبو نواس أم ابن أبي عيينة فقال : أنا لا أحكم بين الشعراء الأحياء " (١) واستبعد ابن سلام شعراء عصره من كتابه " طبقات فحول الشعراء " فلم يترجم لهم ، وربما يكون ناقدنا لم يترجم لليحتري الذي عاصره خشية من لسانه ، كما لم يترجم لأبي تمام الذي توفي قبل تصنيف كتاب الشعر والشعراء خشية من انصاره وأشباعه أن يتعرض لالسنتهم إذا هو ادلى برأى فيه لم ينضج بعد .

قد تبينا الآن نظرة ابن قتيبة التوفيقية في قضية القديم والجديد التي انصف فيها المحدثين " قائلا : أن شعرهم يجب ألا يرد لمجرد أنهم محدثون فقام التيار السائد في عصره " (٢) .

وقد تعرض ابن قتيبة للوحدة الخارجية للقصيدة العربية وطلب الى الشعراء المحدثين ألا يخرجوا على مذهب المتقدمين ، وقد كان ذلك مما دارت حوله الخصومة بين المجددين والقدماء . فالمعروف أن الشعراء الجاهلين كانوا في الغالب لا يهجمون على أغراضهم دون أن يمهّدوا لذلك بالوقوف على الأطلال فالقصائد الجاهلية تكاد تكون مشتركة في

(١) ابن رشيقي : الممد : ج ١ : ص ٧٦ .

(٢) الدكتور سهير القلماوي : النقد الأدبي ( طبعة دار المعرفة ١٩٥٩م ص ٣١ ) .



هذا التصيد ، وهذا المنهج لابد أن يكون قد رشح منذ زمن طويل وقد ذكر امرؤ القيس سلفا في الشكوى والبكاء على الاطلال يدعى ابن خدام . . . . . وتبع المتأخرون هذا المنهج ولم يكادوا يجسرون على تغييره <sup>(١)</sup> . فالوقوف على الديار تجربة تعرض لها كثيرون من شباب العرب في الجاهلية ، لانها تنمى مع ظروفهم البيئية وحياتهم المصروفة بكثرة الترحال والتنقل من مكان الى آخر طلبا للماء والكلاء ، مما يتيح فرص الالتقاء والتعارف بين الشباب وقد يكون هذا الالتقاء بين شاب وفتاة تكون بينهما محبة وألفة ثم لا يلبث هذا الالتقاء أن ينتهى الى الفراق فيكون ذلك مدعاة الى تذكر الديار وتلك اللقاءات ، فاذا ما كان صاحب التجربة شاعرا نفس عن لوعته بأبيات يذكر فيها تلك الديار وكانوا في ذلك صادقين يصفون ما جرت به المعادة في بيئتهم ، وما هو مألوف لديهم ، فهى بداية مألوفة لدى الشاعر ومستتمية على السواء .

ولا شك ان استيقاظ الصبح والبكاء على الاطلال ووصل ذلك بالنسيب بداية صادقة للقصيدة المربية ، وقد ادت هذه البداية أغراضها الفنية على خير وجه عندما كانت تتصل بحياة قائلها .

الا أنه قد أصبح لتلك المقدمة وظيفة نفسية ، فقد اكتسبت شحنة عاطفية قوية اكتسبتها الثبات والاستقرار في النفوس لأن ذكر الديار وأهلها والحديث عن الحب ونوازمه مما هو في طبيعة كل نفس وموجب اليها تله لسماعه وتسكن

(١) بروكلمان . تاريخ الادب العربي . ( مصر ١٩٦٨ م ) ج ١ : ص ٦٠

الى ذكره وقد على ابن قتيبة لذلك فقال : " قال ابو محمد : سمعت  
بعض اهل الأدب يذكر أن مقصد القصيدة انما ابتدأ فيها يذكر الديار  
والدمع ، فبكى وشكا وخاطب الربيع ، واستوقف الرفيق ، ليجمع ذلك  
سببا لذكر أهلها الطاعنين عنها ، اذ كان نازلة الممد في الحلول والظمن  
على خلاف ما عليه نازلة المدر ، لانتقالهم من ماء الى ماء ، وانتجاعهم  
الكلاء ، وتبهم مساقط الفيت حيث كان . ثم وصل ذلك بالنسيب  
فشكا شدة الوجد وألم الفراق ، وفرط الصباية والشوق ليميل نحوه القلوب  
ويصرف اليه الوجوه ، وليستدعى به اصفاء الاسماع اليه ، لان التشبيب  
قريب من النفوس لا يثبط بالقلوب - لما قد جعل الله في تركيب المباد  
من محبة الفزل والنساء ، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون  
متعلقا منه بسبب وضاربا فيه بسهم حلال أو حرام . فاذا علم أنه قد استوثق  
من الاصفاء اليه والاستماع له عقب بايجاب الحقوق ، وفرحل في شمره  
وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحر الهجير ، وانضاء الراحلة  
والبعير .

فاذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء ، وذمامة التأويل ، وقرر  
عنده ما ناله من المكاره في المسير ، بدأ في المديح ، فبمته على  
المكافاة وهزه للسماح ، وفضله على الاشياء ، وصفر في قدره الجزيل .<sup>(١)</sup> فان  
ابن قتيبة في حديثه عن الوحدة الخارجية للقصيدة العربية انما جاء بتبرير  
نفسى لان اجتماع هذه الاغراض في القصيدة يضمن عليها نوعا من الوحدة  
الخارجية التي تتناسب وظروف الحياة الجاهلية .

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٧٤ - ٧٥ .

وعلى هذا فقد نقل ابن قتيبة مذهب اصحاب عمود الشعر في القصيدة  
 المربية واتخذ منه تقليدا دعى الى مراعاته ، ففهم بعض الدارسين للنقد  
 من ذلك أن ابن قتيبة جعل من ذلك نموذجا صالحا لكل شاعر في أى زمان ،  
 فقد فهموا من قوله : " فالشاعر المجيد من سلك هذه الاساليب وعدل بسبيل  
 هذه الاقسام " (١) أنه ألزم المتأخرين هذا النظام ، وهو في حقيقته انما يدعو  
 الى التناسب بين اجزاء القصيدة المربية . وأما قوله : " وليس لتأخر الشعراء  
 أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الاقسام فيقف على منزل عامر ، أو ييكس  
 عند مشيد البنيان — لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر والرسم العافى .  
 أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما لان المتقدمين رحلوا على الناقة والبصير .  
 أو يرد على المياه العذاب الجوارى ، لان المتقدمين وردوا على الأ واجن الطوامى  
 أو يقطع الى الممدوح منابت النرجس والآسى والورد ، لان المتقدمين جروا على  
 قطع منابت الشيع والحنوة والمرارة " (٢) فهو لم يمنع الشعراء المتأخرين من  
 التجديد وانما حظر عليهم التقليد الشكلي ، وذلك باستبدالهم الديباجة الطللية  
 بأخرى تناسب الحياة المتعدنة ، لان هذا ليس تجديدا في الطريقة الفنية . وكأنه  
 يطلب من الشاعر الذى يريد أن يصعد لقصيدته بمقدمة طللية الا يخرج عن مذهب  
 المتقدمين . اما اذا اراد الشاعر أن يجدد فيبدأ بتجربة صادقة فهذا مالم  
 يتنكر له ابن قتيبة وهو الذى تمثل موقفه في الانتصاف للشعر الحديث من انصار  
 القديم .

وقد حاول بعض الشعراء المتأخرين أن يتحرروا من تلك المقدمة التقليدية  
 وكانت لهم دوافع فنية خالصة ، فقد رأوا في تصك سائر الشعراء بالبداية

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء ج ١ : ص ٧٥ — ٧٦ .

(٢) الصدر السابق . ج ١ : ص ٧٦ — ٧٧ .

الغزلية للقوائد منافة للصدق يجب أن يبرأ منها الشعر وكان من  
هؤلاء المتنبي الذي افتتح بعض قصائده بقوله :  
(١)

إذا كان مدح فالنسيب المقدم \* أكل فصيح قال شعرا متم

كما وصف المتنبي الخيل بدلا من الأبل في مطالع بعض قصائده ، ورحل  
بعض الشعراء الى مدوحيه على أقدامهم ، وعلى أى حال فقد انتهت  
الأمر بهذا التقليد الى الانهيار ، لمنافاته لروح العصور المتحضرة  
التي كتب فيها الشعراء المحدثون فالبحتى وهو شاعر معروف بمحافظته  
على عمود الشعر استبدل بوصف الناقة فى بعض قصائده وصف السفينة .

وأخيرا ذهب ابن رشيى الى تحرير مطلع القصيدة من كل تقليد  
فللشاعر أن يبدأ قصيدته بتجربة صادقة ويقول معللا دعوته هذه " ..... لا  
سيما إذا كان المادح من سكان بلد المدوح ، يراه فى أكثر أوقاته ، فما  
أقبح ذكر الناقة والفلاة حينئذ . (٢) وكان هذا إذا نا باختفاء  
المقدمة التقليدية للقصيدة العربية فى المدح لبعدها عن الحقيقة .

---

(١) المتنبي . ديوانه ( مصر ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٨ م ) شرح البرقوقى  
ج ٤ : ص ٨٩ .

(٢) ابن رشيى . الممد . ج ١ : ص ٢٣٠ .

### الفصل السابع

موقف ابن قتيبة من السرقات الشعرية :

=====

السرقات الشعرية من القضايا النقدية الهامة التي تناولها النقاد بالبحث والدراسة حتى كادت تستأثر بكل جهودهم ، فتمسقوا في دراستها ، وأخذوا يحددون أبعادها ، وتوصلوا الى نتائج لتلك الدراسات ، فأرجعوا — بعض المعاني والتراكيب لأصحابها المخترعين لها ، وعرفوا أين وكيف تكون السرقة ومتى تفتقر للشاعر ، ومتى تعاب ، الى غير ذلك من الهوول والتأليف التي تناولت أساليب الأخذ وأنواع السرقات ، فقد عرفوا أن لكل شاعر طريقته الخاصة به في النظم ، ومجمعه الذي يدور في فلكه ، فلم يمد يده يخفض عليهم سارق المعاني أو الالفاظ ، كما عرفوا أن هناك معاني مشتركة بين الشعراء يستقيها بعضهم من بعض ، دون أن يكون ذلك معنيا ، فقد يتناول الشاعر معنى ما من المعاني التي طرقت قبله ، قد استقر في ذهنه ، نتيجة لاطلاعه على أساليب الشعراء ، وطرقهم ومناهجهم دون قصد منه لذلك المعنى وقد يعجب الشاعر بمعنى تناوله الشعراء قبله فيعمد الى أن يصوغه صياغة جديدة يبع فيها أكثر من سابقه ، فقد كان الناس يستجيدون قول الأعشى :

وكأني شربت على لذة \* وأخرى تداومت منها بها

حتى قال : أبو نواس :

دع عنك لوى فان اللوم اغراء \* وداوى بالتي كانت هي الداء (١)

فزاد في معناه وعرف له فضل الزيادة فيه .

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٧٣ .

وقد اشترك الشعراء في معاني كثيرة ، استقاها بعضهم من بعض  
ولا يعلم في الأرض شاعر مقدم في تشبيه مصيب ثام ، وفي معنى غريب  
عجيب أو في معنى شريف كريم ، أو في بديع مخترع ، إلا وكل من جاء من  
الشعراء من بعده أو معه ، أن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه ، أو يدعيه  
بأسره فانه لا يدع أن يستعين بالمعنى ، ويجعل نفسه شريكا فيه .<sup>(١)</sup>

ولا شك أنه ليس للشاعر المتأخر غنى عن تناول معاني السابقين ، شريطة  
ألا يفسد تلك المعاني ، أو يقصر فيها عن سبقه ، أو يأخذها بلفظها ،  
ألا أن اعتماد الشاعر على السرقة ، يدل على بلادة حسه ، وضعف ملكته .  
وقد توصل النقاد ، إلى أن هناك معاني قد تنكشف فيها السرقة ، وتحقق  
وذلك عندما يكون المعنى المسروق مبتدعا ، وممروفا لشاعر بعينه ، وأنه  
أول من وقع عليه ، كقول الأعشى :

وأرى الضواني لا يواصلن أمرا \* فقد الشباب وقد يصلن الأمرا  
فهذا معنى مبتكر للأعشى ، جاء أبو تمام فطره حيث قال :

أحلى الرجال من النساء موقعا \* من كان أشبههم بهن خدودا<sup>(٢)</sup>  
كما توصلوا إلى أن هناك معاني لم يستطع الشعراء سرقتها ، فبقيت لمبتكريها  
دون أن ينازعهم فيها أحد ، كوصف عنقرة للذباب ، وكقول زهير بن أبي  
سلي الذي لم ينازع فيه :

فان الحق مقطعة ثلاث \* يمين أو نفار أو جـلا<sup>(٣)</sup>

- 
- (١) الجاحظ . الحيوان : ج ٣ : ص ٣١١  
(٢) طه أحمد إبراهيم . تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ص ١٢٢  
(٣) انظر ذلك في قضية اللفظ والمعنى  
(٤) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ١٤٠

على أن السرقة إنما تكون في المعاني دون الالفاظ ، لان الالفاظ  
يكثر تداولها على السنة الشعراء ، فهي مشاعة بينهم .

وقد كان توارد القدماء على المعاني نادرا ، بحيث يستطيع الناقد  
أن يحصى أكبر قدر ممكن مما أخذه بعض الشعراء من بعض ان لم يكن  
جميعه . أما بالنسبة للشعراء المحدثين فقد كثر تواردهم على المعاني  
حتى أصبح من الصعب استقصاء كل ما أخذه الشعراء المحدثون  
من بعضهم البعض ، وقد حاول النقاد جاهدين في الكشف عن سرقات  
المحدثين ، أما ليظهر الناقد سعة اطلاعه ، وأما تمصبا على بعض الشعراء  
فأخذوا يعنون بإبراز السرقات ، فكانت سرقات أبي تمام ، التي تناولها  
أكثر نقاد القرنين الثالث والرابع ، وسرقات البحتري ، وأبي نواس ، وغيرهم .

ولما كانت السرقات الشعرية موضع اهتمام النقاد ، وأحدى قضايا  
النقد الأدبي ، فقد تناولها ابن قتيبة بطريقة تختلف عن منهج  
معاصريه وطرقهم في بحث تلك القضية فهو لم يعرضها في مقدمة كتاب  
الشعر والشعراء كغيرها من القضايا النقدية الجديرة بالاهتمام ، وإنما  
أشار إليها إشارة موجزة في حديثه عن الموضوعات التي ضمنها كتاب الشعر  
والشعراء ، حيث قال : " هذا كتاب ألفته في الشعراء ، أخبرت فيه  
عن الشعراء ٠٠٠٠ وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون " (١)

هذا كل ما قاله ابن قتيبة في مقدمة الكتاب عن قضية السرقات ، حتى  
إذا أتى في ترجمته للشعراء ، بدأ يعرضها في ثنايا الكتاب عرضا

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٥٩

مقتضيا ، دل على مدى تقديره لكل معنى مبتكر لم يسيق اليه الشاعر  
فذكر للشعراء ما سبقوا اليه من جديد المعاني ، وما أخذه عنهم من أتى  
بعدهم . وذلك الخ الى بداية السرقات ، حيث رأى أن هناك معانى  
سبق اليها بعض الشعراء ، فذكرها لاهلها ، ونوه بالفضل لهم فـ  
سبق اليها ، فامرو القيس " أول من شبه الشعر في لونه يشوك السيل " (١)  
وعدى بن زيد " أول من شبه أباريق الخمر بالظبا " (٢) فهذه المعانى  
أحسن فيها قائلوها ، فتيهم في ذلك الشعراء ، غير أن هناك معانى سبق  
اليها الشعراء ، ولم يحسنوا فيها فطرقها من أتى بعدهم وأبدعوا ، فاحتسب  
للمتأخر فضل الابداع في ذلك فقد سبق النابغة الجعدي في صفة  
الثور الى معنى لم يحسن فيه وهو قوله : (٣)

من وحش وجرة موشى أكارعه \* طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد

فأراد بالفرد أنه مسلول من غمده .

ولقد تناوله الطرمح بعده فأبدع ، حيث قال يذكر الثور :

يبدو وتضمه البلاد كأنه \* سيف على شرف يسيل ويغمد (٤)

فهو يسيل مرة ويغمد أخرى .

وهكذا يأخذ ابن قتيبة في ضرب الامثلة التي تدل على سمة اطلاعه . الا أن الشئ

الذى يلتفت الانتباه عند ابن قتيبة ، أنه لم يستعمل لفظ " السرقة " أو الاغارة

(١) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٣٣ .

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ٢٣٠ .

(٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٧٠ .

(٤) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٧١ .



او السلب " كما استعملها معاصروه ، بل نراهم يستعمل في حديثه عن السرقة عبارة " وما سبق اليه فأخذ منه " حتى ولو أسرف الشاعر في الاخذ عن غيره ، ولم نجده يستعمل لفظ " السرقة " الا في نفس واحد ، حيث يقول : " وكان الكميث شديد التكلف في الشمر ، كثير السرقة " (١) وهذه هي الإشارة الوحيدة التي استخدم فيها لفظ " السرقة " ولعل بذلك لا يرى لنفسه البت في الحكم على الشاعر بالسرقة ، فلو ربما كان ذلك من تداعي الخواطر بين الشمر ، فلا يمد سرقة ، وهذا ما نوه عليه في كتابه " عيون الاخبار " حيث يقول : " قيل لبعض علماء اللغة رأيت الشاعرين يجتمعان على المعنى الواحد في لفظ واحد ؟ فقال : عقول رجال توافت على السنتها " (٢)

كما نلاحظ من ابن قتيبة شيئا آخر ، وهو أنه لم يقل في الشمر المحدثين بعد بشار " وما سبق اليه فأخذ منه " وقد يكون ذلك لكثرة الاخذ ، وتوارد الشمر على المعاني كثيرا ، بحيث يصعب على الناقد حصر ذلك وتمييزه .

وما تنبه له ابن قتيبة أنه ربما اشترك شاعران في معنى واحد وجمعهم معا عصر واحد حيث يكون الأمر غامضا بالنسبة للسابق منهم الى ذلك المعنى ولهذا نراه يتخذ موقفا محافظا ، فلا يقطع بذلك المعنى لواحد منهم ، وإنما يرويه لهما جميعا ، من ذلك ما قاله في بيت ربيعة بن مقروم : (٣)

(١) ابن قتيبة . الشمر والشمر : ج ٢ : ص ٥٨١ .

(٢) ابن قتيبة . عيون الاخبار : ج ٢ : ص ١٨٢ .

(٣) ابن قتيبة . الشمر والشمر : ج ١ : ص ٣٢٠ .

نصل السيوف اذا قصرن بخطونا \* قدما ونلاحقها اذا لم تلحق

فقد اشتركت معه في هذا المعنى قيس بن الخطيم حيث يقول :

(١) اذا قصرت أسيافنا كان وصلها \* خطانا الى أعدائنا فنضارب

فاختلط الامر على ابن قتيبة أيهما كان أسبق الى المعنى ، فروى السبق اليهما جميعا ، حيث علق على بيت ربيعة بقوله : " أخذه من قيس بن الخطيم أو أخذ قيس منه " (٢) كما أن الشاعر اذا برز في فن من فنون القول واشتهر به وروى له أبيات في ذلك ، ولم يطمئن ابن قتيبة من صحة نسبتها الى ذلك الشاعر ، عجم الحكم ، دون أن يقطع بها للشاعر ، كما نبه على ذلك بقوله : " وكان العماني يجيد وصف الفرس ، غمما أخذه ، أو أخذ منه قوله :

كان تحت البطن منها كلبا \* بيضا صفارا ينتهش المنقبأ " (٣)

وهو بهذا الموقف المحافظ يعطى صورة صادقة لروح العالم الفقيه المحدث وهكذا تتضح لنا شخصية ابن قتيبة المتزنة ، في معالجته لقضية السرقات الشعرية ، حيث أعجب ببدأ الابتكار في الشاعر ، وأشاد بالمعنى الذي لم يسبق اليه ، وكان قليل الاتهام للشعراء في قضية السرقة ، يتحسرى الدقة ، ويرى أن أكثر توارد الشعراء على المعاني يرجع الى تداعى الخواطر ، فلم يبال في محاسبة الشعراء ، ولم يمعن في انتقاصهم كثيره من شغفوا بالبحث عن معاييب الشعراء ، فانها لو ا عليهم بالتجريح - والانتقاص ، وان كانت بحوشهم تدور أكثر ما تدور حول مناقشة المعنى المفرد - أجديد هذا المعنى ام قديم ؟ أمبتكر أم مسروق ؟

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٣٢١

(٢) المصدر السابق ج ١ : ص ٣٢٠

(٣) المصدر السابق ج ٢ : ص ٧٥٦

( الباب الثالث )

=====

الشاعر عند ابن قتيبة

=====

( الفصل الأول )

=====

ثقافة الشاعر

=====

اهتم ابن قتيبة بالشاعر وأولاه عناية كبيرة . فالشاعر عنده من غلب عليه  
الشعر ، وتفنن فيه ، واشتهر به ، وكأنه يرى أن الانسان المتكادى  
له القدرة على قول البيت والبيتين ولا يسمى راعيا ، حيث يقول : " ولم  
أعرض في كتابي هذا لمن كان غلب عليه غير الشعر . . . لأنه قلل أحده  
له أدنى مسكة من أدب ، وله أدنى حظ من طبع ، الا وقد  
(١)  
قال من الشعر شيئا . "

وطى هذا فقد ميز بين نوعين من قائل الشعر : الشاعر وهو من وجه  
كل همه الى الشعر وتفنن فيه ، وعرف به ، ووقع الاحتجاج بشعره  
" في التريب ، وفي النحو ، وفي كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله  
(٢)  
صلى الله عليه وسلم . "

والرجل العادي الذي قال شعرا نادرا في المناسبات ولم يكن فيسي  
عداد الشعراء لكساد شعره ، وقللة ذكره .

ولم هذا نراه قد ترجم للنوع الأول ، وأولاهم عناية كبيرة ، وأهمهم

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٦٢ .

(٢) المصدر السابق . ج ١ : ص ٥٩ .

النوع الأخير ، ولم يحفل به ، كما يدل على ذلك نصه السابق . ونمايته  
لمن ترجم لهم لم تقتصر على الشعراء القدامى فحسب بل اتخذ لنفسه  
موقفا عادلا ، حينما انتصف للمحدثين من أنصار القديم ، إذ جعل  
الجودة في الشعر مدار التفاضل بين الشعراء ، فليس لتقدم الزمن  
بفضل الشاعر ، ولا لتأخره ينتقص شعره وكان هذا التزاما منه بعدا وضعه  
في مقدمة كتابه ، وهو أن لا يقدم قديما لقدمه ولا يؤخر محدثا  
لحدثه ، ولهذا كان اهتمامه بالشاعر المحدث لأسباب فنية متصلة  
بطبيعة الشعر ، وقد ترجم ابن قتيبة لكثير من الشعراء المحدثين ،  
كبشار ، والمتابى ، ودعبل الخزاعي ، وغيرهم كوان كان قد اهتم  
شاعرين كبيرين ملا الدنيا بشعرهما هما البحتري وأبو تمام (١)

ولم يبق اهتمامه بالشاعر عند هذا الحد ، بل تمداه إلى أن قسم الشعراء  
إلى متكلفين قوموا شعرهم بالثقاف ، ونقحوه بطول الروية ، كزهري بن أبي  
سلمى ، والحطيئة ، وأشباههما .

والى مطبوعين . استسلموا لخواطرم الأولى ، فابتعدوا عن الكمد ،  
واعادة النظر في شعرهم . (٢)

وليس بعيدا على ابن قتيبة الذي اتجه في أكثر نقده إلى الشاعر ، واهتم  
به ذلك الاهتمام أن يمالج ما يحتاجه الشاعر ، من ثقافته من أن يقف  
على أرض صلبة في ميدان الشعر . ولهذا نجد ميتهم بالثقافة السماعية ، لأن -

(١) انظر تفصيل ذلك في قضية القديم والحديث .

(٢) انظر في ذلك فصل المتكلف والمطبوع .

الشعر عنصر سماع ، ودراسة يتوقف عليه ثقافة الشاعر والناقد على السواء .

فالشاعر في حاجة الى اطلاع واسع على اساليب الكلام العربي  
لينمي مداركه ويوسع ثقافته حتى ينفث له باب الشعر على مصراعيه  
بالدربة والممارسة .

وابن قتيبة خص الثقافة السماعية بالاهتمام ، لان الشعر احوج الملموم  
بمد علم الدين الى السماع . " لما فيه من الالفاظ الغريبة واللفات  
المختلفة ، والكلام الوحش ، وأسماء الشجر ، والنبات ، والمواضع  
(١)  
والمياه . "

كما نبه ابن قتيبة الى فساد الثقافة المستمدة من الدفاتر والصحف  
وقلة فائدتها ، لكثرة ما فيها من التحريف والتصحيف ، من ذلك ما رواه  
المصحفون ، والآخذون عن الدفاتر في قول الشاعر :

(٢)  
زوجك يا ذات الثنايا الفسر \* الرتلالات والجبين الحر

يقال : " الفسر الرتل " اي المفلج . وقد رواه المصحفون " الهلج

بالباء المفتوحة ، وهي أصول الفخذين . يقال ( ف ) رجل أربل " اذا  
كان عظيم الرتلين " اي عظيم الفخدين . ولا شك أن قارئ الشعر ، شاعرا كان أو غير ذلك ، يحتاج الى ثقافة لفوية

ونحوية ، كما يحتاج الى دراسة الاحداث التاريخية ، ومعرفة طبيعـة

البيئة التي ظهر في ربوعها ذلك الشعر الذي يقرأه .

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٨٢ .

(٢) المصدر السابق . ج ١ : ص ٨٤ .

(٣) المصدر السابق . ج ١ : ص ٨٤ .

غير أن نظرة ابن قتيبة إلى الثقافة السطحية المتصلة باللغة  
 نظرة قاصرة، لأن اللغة وحدها لا تشمل كل الجوانب الثقافية  
 التي لابد للشاعر من التزود بها . " فالشاعر مأخوذ بكل علم (١) .  
 فهو في حاجة إلى رواية الأشعار ، والأخبار ، ومعرفة الأنساب  
 وأيام العرب ، وتعلم المروء والنحو وكسل ماله علاقة بصناعة الشعر  
 ليثني مداركه ويوسع ثقافته .

---

(١) ابن رشيق . الممد . ج ١ : ص ١٩٦ .

## الفصل الثانى

### علاقة الحالات النفسية بالشعر

يشارك الشعراء جميعا فى الطاقة الشعرية على اختلاف طبقاتهم .  
الا أن اشتراكهم فيها على درجات تختلف قريبا ومعدا حسب استجاباتهم  
للأشياء التى يريدون التعبير عنها . وقد كانوا قديما يرون أن هناك الهاما  
ينزل على الشعراء مصدره شياطين الشعر ، فقد زعموا أن لكل شاعر  
شيطانا ينفث فى روعه الشعر ، وقالوا ان شيطان الاعشى كان يدعى  
مسحلا ، وأن عمرو بن قطن كانت لمتابعة من الجن اسمها جهنم ، وقيل  
كانت بين هذين الشاعرين مهاجاة وفى ذلك يقول الأعشى :

(٢)  
دعوت خليلي مسحلا ودعوا له \* جهنم جدعا للهجين المذم  
وقد يكون مصدر هذا الزعم من أن الشياطين تنزل على الشعراء أنهم فسروا  
ما ينزل بالشاعر من حالات نفسية تلم به فى حالة نظمه الشعر بأنه فى  
فترة الهام من شياطين الشعر ،

غير أن هذا الفهم للأحياء الشعرى كسدوا انتهى لتحرر العقليّة العربية  
وتشبعها وقلها بتماليم الاسلام . فقد أخذ نقاد العرب القدماء  
ينسبون للحالات النفسية وأثرها البين فى نتاج الشاعر .

(١) انظر د . د . شوقي ضيف . تاريخ الادب العربى " المصر الجاهلى "  
( مصر ١٩٦٠ ) ص ١٩٧

(٢) المرزبانى . معجم الشعراء . ( مصر ١٣٧٩ - ١٩٦٠ م ) ص ٧٠



فقد أوصى بشر بن الممتمر الأديب باستغلال الوقت المناسب حيث قال : : " خذ من نفسك ساعة نشاطك ، وفراغ بالك ، واجابتها اياك فان قليل تلك الساعة أكرم جوهرها ، وأشرف حسابها ، وأحسن في الاسماع وأحلى في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع . واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الاطول بالكد والمطاوله والمجاهدة والتكلف والمعاودة . " (١) وإذا كان بشر يتكلم عن النثر لا عن الشعر فان ما لا شك فيه أن ساعة النشاط يسرق فيها الطبع ، وصفو المزاج ، وهى لذلك تحين على الشعر فقد يكون فيها من ينابيع الإحياء ما يحرك الشاعر المبدع فيصل الى بفيتته ويكون ذلك أجدى من عمل اليوم الاطول المتسم بالكد ومجاهدة القريحة .

وعلى هذا أدرك النقاد العرب أن هناك امورا يجب أن تسبق قرض الشعر أى أن هناك مرحلة اعداد للشاعر قبل أن يقدم على صناعته من تلك الامور : أن ينشأ الشاعر بين فئة من الفصحاء المستعملين للشعر ، وأن يعيش في بيئة معتدلة الهواد ، ذات مناظر جميلة متمعة ، تربطه بها

(١) الجاحظ . البيان والتبيين ج ١ : ص ١٦٣

(١) روابط وذكريات قوية الصلة بنفسه.

كما أدركوا أن للشعراء طرقا يشحنون بها قرائحهم ويستجلبون  
(٢) بها الشعر ، وتلك الطرق تختلف من شاعر لآخر ، وتباين فيما بينها  
فمنها ما يطرب له الشاعر ، كأثار الديار المثيرة للذكريات السعيدة التي لم  
تزل ماثلة في خياله ، وكأنه في حنايا نفسه ومنها ما يترتب عليه آمال الشاعر  
وتطلعاته وغير ذلك من الطرق المتعددة التي لا نستطيع حصرها .

وكذلك تنبهوا لأوقات قرض الشعر ، فراوا أن بعض الاوقات ادعى  
الى قول الشعر من بعض كذلك التي ينحزل فيها الانسان عن مشاغله  
ويرتاح لها نفسيا ، ويستجمع فيها فكره بحيث يسمح له بالشعر .

وعرفوا أن هناك فترة ركود تعرض لكل شاعر في بعض الاوقات كما أحس  
بذلك الشعراء ايضا ، فقد كان الفرزدق يقول : " أنا أشعر تميم  
عند تميم وربما أتت على ساعة ونزع خرس أسهل على من قول بيت " (٣)

وعلى هذا الاساس يتضح لنا عاطفية الشعر لخضوعه لبعض العوامل  
المزاجية اذ لو كان الشعر عقليا لكان من الممكن أن يقال في كل وقت  
ولذلك كانت دوافع الشعر عاطفية وليست عقلية .

- 
- (١) انظر . القرطاجني . منهاج البلفاء وسراج الأدباء : ص ٤٠  
(٢) انظر . ابن رشيق . الصمدية ج ١ : ص ٢٠٥  
(٣) ابن قتيبة . الشعر والشعراء ج ١ : ص ٨١ وانظر الجاحظ : البيان  
والتبيين ج ١ : ص ٢٣٣ .

هذا وقد تناول النقاد العرب الحديث عن بواعث الشعر ومهيئاته وعلاقته بقائله ، وتأثره بمزاجه وظروفه ، كل ذلك فى شئ من الدقّة والايجاز ، وعدم التحليل أحيانا . فقالوا : أشعر الناس " امرؤ القيس اذا ركب ، وزهير اذا رغب ، والنايفة اذا رهب ، والاعشى اذا — شرب " (١) . وذلك رأوا أن لكل واحد منهم استجابات نفسية معينة فهذا امرؤ القيس يشحن قريحته بركوب الخيل ومطاردة الصيد ، وهذا زهير تدفعه الرغبة الى مقدمة الشعراء وكان أجود شعر النايفة اعتذارياته أما الاعشى فتفيض ينابيع شعره فى حالة سكره .

وقد حاول ابن قتيبة أن يتناول تلك الحالات النفسية وعلاقتها بالشعر بشئ من التفصيل ، ومثل لها بأمثلة طريفة ، أقرب الى الموضوعية ورأى أن العمل الادبى انما هو استجابة معينة لمؤثرات نفسية خاصة وعلى هذا الاساس تناول القضية من ثلاث جوانب :  
أولا : من جانب البواعث النفسية التى تحت البطىء ، وتبحث المتكلف حيث قال : " وللشعر دواع تحت البطىء وتبحث المتكلف ، ومنها الطمع ومنها الشوق ، ومنها الشراب ، ومنها الطرب ، ومنها الغضب . " (٢) وقد ضرب لنا مثلا طريفا على دافع الطمع اذ يقول : " وقيل للحطيئة أى الناس أشعر فأخرج لسانا دقيقا كأنه لسان حية ، فقال : هذا اذا طمع " (٣) ولهذا يرى أن الطمع أقوى دواعى الشعر ، وأن تفوق الشاعر

(١) ابن رشيق . الحمدة : ج ١ : ص ٩٥ .  
(٢) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٧٨ .  
(٣) المصدر السابق : ج : ص ٧٩ .

مرهون ببراءته في المدح " وهذه عندى قصة الكميث في مدحه بنى أمية  
وآل أبى طالب ، فانه كان يتشيع وينحرف عن بنى أمية بالرأى والهوى  
وشمره في بنى أمية أجود منه في الطالبين . ولا أرى علق ذلك الا قوة -  
أسباب الطمع وايتثار النفس لما جل الدنيا على أجل الآخرة .<sup>(١)</sup>

على أنك تلمس اثر التفاوت<sup>(٢)</sup> في شمر الشاعر الواحد تبعا للحالات  
النفسية التي يمر بها ، وقد رأى ابن قتيبة هذا التفاوت عندما كان  
الشاعر يتنازع أمران " الرجاء والوفاء " فقد ظهر التفاوت جليا ففى  
شمر الخريمى تبعا لتفاوت قوة الحافزين لديه ، فقد قال له احمد بن يوسف  
الكاتب " مدائحك ل محمد بن منصور بن زياد ، يعنى كاتب البرامكة ،  
أشمر من مراثيك فيه وأجوده ؟ فقال : كنا يومئذ نعمل على الرجاء  
ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد .<sup>(٣)</sup> فقد كان دافع الرجاء  
أقوى فعاليقن دافع الوفاء . وعلى هذا يقترب تفوق الشاعر بمدى قوة الدافع  
اذ رأينا أن الشاعر باستطاعته أن يبرز بدافع الطمع . ولو لم يعبر عن  
مساناة وجدانية صادقة ، حتى أن الشاعر في حالة تجرده من بعض تلك  
الدوافع يعتمد عن قول الشمر فيصعب عليه فقد " قال عبد الملك بن مروان

- 
- (١) ابن قتيبة . الشمر والشمراء : ج ١ : ص ٧٩ .  
(٢) نسب الاصمعي التفاوت في شمر حسان الى الموضوع نفسه حيث قال :  
" الشمر نكدبا به الشر فاذا دخل في الخير ضف ، وهذا حسان  
ابن ثابت فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الاسلام سقط شمره " ابن  
قتيبة الشمر والشمراء : ج ١ : ص ٣٠٥ .  
اما ابن سلام فانه يرى أن خصب البيئة ليس له علاقة بكثرة الشمر ، فتقيد  
مواطنهم خصبة وشمرهم قليل وانما يكثر الشمر بالحروب . انظر ابن سلام  
ج ١ : ص ٢٥٩ وقد كان ابن قتيبة أدق منهما فهما لانه ذهب الى التعليل  
النفسى في ذلك التفاوت . (٣) ابن قتيبة . الشمر والشمراء : ج ١ : ص ٧٩

لأرطاة به شهية ؛ هل تقول الآن شمرا ؟ فقال ؛ كيف أقول وأنا  
 ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب ، وإنما يكون الشمر بواحدة من هذه <sup>(١)</sup> .  
 غير أن تلك الدوافع النفسية المتمثلة في الطمع والشوق والشراب والغضب  
 وغيرها قد يصيبها الركود أحيانا فلا يثيرها إلا بعض الحوافز الأخرى  
 التي تنمى فيها القابلية لقول الشمر إذا عسر بابه ، مثل المناظر  
 الطبيعية الجميلة والمياه الجارية والهواء المعتدل ، والمكان المرتفع .  
 " قيل لكثيرا أبأ صخر كيف تصنع إذا عسر عليك قول الشمر ؟ -  
 قال ؛ أطوف في الرباع المخلية ، والرباض المعشبة ، فيسهر <sup>(٢)</sup>  
 على أرضه ويسرع إلى أحسنه . " ويقال أيضا ؛ أنه لم يستدع  
 شارد الشمر بمثل الماء الجاري والشرف المالي والمكان الخضر الخالي <sup>(٣)</sup> .  
 ثانيا ؛ من جانب علاقة الشاعرية بالزمن . فهناك أوقات لها تأثير  
 على قول الشمر وعلى مزاج الشاعر يسمح فيها للشمر الشارد ، وتنشال  
 فيها المعاني المبتكرة ، والألفاظ المذبذبة ، فيرق شعر الشاعر ، ويصفو  
 مزاجه ، وقد أدرك ابن قتيبة ذلك التأثير الزمني في الشمر حيث يقول ؛  
 " وللشمر أوقات يسرع فيها أتية ، ويسمح فيها أبيه . منها أول الليل  
 قبل تغشى الكرى ومنها صدر النهار قبل الفداء ، ومنها يوم شرب  
 الدواء ، ومنها الخلوة في الحبس والمسير <sup>(٤)</sup> . وقد ذهب إلى أدق من

(١) ابن قتيبة . الشمر والشمرا ؛ ج ١ : ص ٨٠  
 (٢) الصدر السابق ؛ ج ١ : ص ٧٩  
 (٣) الصدر السابق ؛ ج ١ : ص ٧٩  
 (٤) الصدر السابق ؛ ج ١ : ص ٨١

ذلك حيث رأى أن أثمار الشاعر ورسائل الكتاب تختلف باختلاف تلك  
الملل بحيث لا تكون في مستوى فنى واحد وقد علق عليها بقوله : " ولهذه  
الملل تختلف أثمار الشاعر ورسائل الكتاب " (١)

على أن ابن قتيبة قد تنبه أيضا لتلك الحالات النفسية والجسمية التي تمنع  
من قول الشعر أو النثر على السواء فكما أن للشعر أو قاتا يسرع فيها فان له  
أيضا أوقاتا " يبعد فيها قربه ، ويستصعب فيها رضه . وكذلك الكلام  
المنثور في الرسائل والمقامات والجوابات ، فقد يتعذر على الكاتب الأديب . وعلى  
البليغ الخطيب . ولا يمرض لذلك سبب إلا أن يكون من عارض يمترض على ،  
الفريزة من سوء غذا ، أو خاطر غم " (٢) فالطعام الطيب والمسرة من دواعى —  
استجلاب الشعر والكلام المنثور الذى لا يلحقه وزن ولا قافية ، فإذا انمكنت  
تلك الدوافع أصبح الشعر كزلا خير فيه ، وعلى هذا فان الفائدة  
الفنية لا تتم إلا " اذا كانت الفريزة موالية والطبيعة قابلة والحسن مقادا " (٣)

ما تقدم نرى أن ابن قتيبة قد عالج في الجانبين السابقين بعض النواحي  
النفسية في الشعر ، فحاول أن يقف بنا على تلك الدوافع النفسية وما ينتج  
عنها من أثر على قدرة الشاعر على الابتكار أو قصوره عنه ، وعلى ما يمرض  
للفريزة من حالات تجعلها تسع بالشعر أحيانا ولا تسع به في بعض  
الحالات .

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٨١  
(٢) الصدر السابق : ج ١ : ص ٨٠ — ٨١  
(٣) ابن قتيبة . عيون الأخبار : ج ١ : المقدمة . ص ك

ثالثا : من جانب مراعاة الحالة النفسية في الجمهور : ويتمثل هذا الجانب في تحليل ابن قتيبة لبناء القصيدة المربية - حيث جاء بتجسير نفسى لبناء القصيدة المربية ، فرأى أن لتلك المقدمة الغزلية وظيفة نفسية فقد اكتسبت شحنة عاطفية اكتسبتها الثبات والاستقرار في النفوس ، كما أن مبدأ التناسب بين أجزاء القصيدة يوحي بإشراك السامعين في عاطفة الشاعر بحيث يكون السامع مشدود الانتباه وينتقل مع الشاعر من جزء إلى آخر دون ملل أو كلال ، هذا إذا كانت أجزاء القصيدة متناسبة في الطول معتدلة الأقسام ، فلا يطيل الشاعر في قسم منها دون الآخر فيمل السامعين ولا يوجز والنفوس ظما إلى المزيد ، وعلى هذا رأوا أن ذا الرمة انما تأخر عن ركب الفحول لانه كان يسهب في الوقوف بالديار ، ويطيل نفس وصف الرحلة ، حتى اذا أتى إلى المديح فترت النفوس ، وملت الاستماع فلم تكن طريقته تلك موفقة من الوجهة النفسية .

ومما فطن له ابن قتيبة أيضا رجوع القارئ إلى نفسه وتأمل حالها عند انشاد الشعر ، وما يثيره ذلك فيها من الارتياح والاستجابة لذلك الشعر حيث يقول : " أشعر الناس من أنت في شعره حتى تفرغ منه " (١) ولذلك نرى أن كل تأثير في نفوس السامعين منشؤه العمل الأدبي ذاته بما يحدثه في تلك النفوس من استجابات معينة .

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء : ج ١ : ص ٨٢ .

### الفصل الثالث

=====

#### " تقويم الشعراء "

=====

ترجم ابن قتيبة لمائتين وستة من الشعراء ، وروى الكثير من أخبارهم  
وقدم في ثنايا تلك التراجم نماذج كثيرة من شعرهم ، كما أورد بعض  
الاحكام النقدية عليهم . وعلى شعرهم ، ممعلا لبعض الظواهر  
الأدبية التي برزت في شعرهم .

الا أن تلك الاحكام النقدية التي عرضها في ثنايا كتاب الشعر والشعراء  
قد نقل أكثرها ان لم يكن جميعها عن العلماء السابقين له ، دون أن يشير  
الى من نقل عنهم تلك الاحكام أحيانا ، من ذلك ما أخذه عن ابن سلام  
في تحليل لين شعر عدي بن زيد بأنه " كان يسكن بالحيرة ودخل  
الأرياف فتقل لسانه واحتمل عنه شيء كثير جدا وعلماؤنا لا يــــرون  
شعره حجة " (١) ونقل عن الأصمى قوله في حسان بن ثابت : " الشعر  
نكد بابه الشرء  
x فاذا دخل في الخبر ضعف ، هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية  
فلما جاء الاسلام سقط شعره " (٢) فالأصمى ينسب ظاهرة التفاسوت  
في شعر حسان الى الموضوع .

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ ص ٢٢٥ . وانظر ابن سلام . ج ١

ص ١٤٠

(٢) الصدر السابق : ج ١ ص ٢٠٥



وقد تنبه ابن قتيبة الى أن هناك خصائص جزئية تبرز أحيانا فى  
شعر الشاعر بحيث تلقى الضوء على التصاق تلك الجزئيات بحياة  
الشاعر \* وسجل فى حديثه عن الشعراء بعض تلك الجزئيات فزهير  
ابن ابى سلمى كان " يتأله ويتمقف فى شعره \* ويدل شعره على  
إيمانه بالبعث \* وذلك قوله :

(١) يوخز فيودع فى كتاب فيدخر \* ليوم الحساب أو يعجل فينقم  
(٢) وقد أشار الى ظاهرة البؤس فى شعر تأبط شرا \*

أما الشماخ بن ضار فانه " أوصف الشعراء للحمير \* وأرجز الناس على  
(٣) يديهة \* كما رأى أن عمرو بن معد يكرب الزبيدي " احد من يصدق عن —  
نفسه فى شعره قال :

ولقد أجمع رجلى بهـ \* حذر الموت وانى لفسرور  
ولقد أعطفها كارهة \* حين للنفس من الموت هريس  
كل ما ذلك منى خلق \* وكل أنا فى الروع جديس (٤)

وأن عمرو بن قسيث " ممن أنصف فى شعره وصدق \* (٥)  
أما أبو نواس ففزله " ضعيف مشاكل لطبايح النساء \* (٦)

- 
- |                                              |                   |
|----------------------------------------------|-------------------|
| (١) ابن قتيبة * الشعر والشعراء : ج ١ : ص ١٣٩ | (٢) المصدر السابق |
| ج ١ : ص ٣١٢                                  | (٣) المصدر السابق |
| ج ١ : ص ٣١٧                                  | (٤) المصدر السابق |
| ج ١ : ص ٣٧٣ — ٣٧٤                            | (٥) المصدر السابق |
| ج ١ : ص ٣٧٧                                  | (٦) المصدر السابق |
| ج ٢ : ص ٧٩١                                  |                   |

وقد أشار ابن قتيبة الى أنهن الممكن اشتراكاكثر من شاعر في جزئية واحدة . فابودؤاد الايادي " أحد نحات الخيل المجيدين " .<sup>(١)</sup>  
وقد رأى الاصمعي أن هناك ثلاثة من الشعراء اشتهروا بتلك الجزئية وهم : " ابودؤاد الايادي في الجاهلية وطفيل الفتوى والنابطة<sup>(٢)</sup> الجعدي " .

ولم يكتف ابن قتيبة بايراد مثل تلك الجزئيات التي تلقى الضوء على جانب من جوانب العمل الادبي ، بل أورد بعض الاحكام النقدية العامة التي نظرت الى انتاج الشاعر بأكمله فكشفت مكانته الأدبية بين الشعراء فامرؤ القيس قد سبق " الى أشياء ابتدعها " واستحسنها العرب ، واتبعها عليها الشعراء ، من استيقافه صحبه في الديار ، ورقة النسيب وقسرب المأخذ " .<sup>(٣)</sup>

أما الحطيئة فقد قال عنه زهير بن ابى سلمى : " ما رأيت مثله قس تكفيه على أكتاف القوافي ، وأخذه بأعنتها حيث شاء " من اختلاف مماثليها ،<sup>(٤)</sup>  
امتداحا وذمما .

---

(١) ابن قتيبة . الشعراء والشعر . ج ١ : ص ١٣٨

(٢) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٣٨

(٣) المصدر السابق : ج ١ : ص ١١٠

(٤) المصدر السابق : ج ١ : ص ١٤٣ - ١٤٤ .

ونقل ابن قتيبة عن أبي عبيدة قوله في النابغة الذبياني : أنه كان  
أوضح الشعراء " كلاما ، وأقلهم سقطا وحشوا ، وأجودهم مقاطع ،  
وأحسنهم مطالع ، ولشعره ديباجة ، ان شئت قلت : ليس بشعر  
مؤلف من تأنيثه ولينه ، وان شئت قلت : صخرة لوردت بها الجبال لأزالتها<sup>(١)</sup> .  
" وذكر أبو عبيدة عن ابن عمرو بن العلاء قال : كان عدي بن زيد في الشعراء  
بمنزلة سهيل في النجوم ، يمارسها ولا يجرى مجاريها<sup>(٢)</sup> . " لانه رأى أن -  
القدرة الشاعرية عنده لا تمكنه من أن يسير في ركب الشعراء . اما المرجس  
فقالوا عنه : " انه اشمر بنى أمية<sup>(٣)</sup> . وهذه الاحكام العامة شاملة لكثير  
من الخصائص الفنية التي تتمثل في مناهج الشعراء ، ونتاجهم الأدبي  
بصفة عامة ، وهي أحكام منبثقة من نظرة فاحصة مستوعبة .

اما الحديث عن الشعراء على أساس تصنيفهم الى فئات حسب اتجاهاتهم  
المختلفة فهو ما أشار الى جانب منه ابن قتيبة ، حيث فرق بين نوعين  
من الشعراء ، شعراء الصنعة المحمودة في الشعر ، وهؤلاء هم الذين  
اتخذوا لأنفسهم منهجا خاصا في تهذيب الشعر ، وتنقيحه ، ومثلوا  
اتجاهها واحدا في الشعر ، كزهير والحطيئة وأشباههما .

وشعراء الطبع الذين استسلموا لخواطيرهم الاولى ، وقد أشار ابن قتيبة  
الى بعض اصحاب هذا المذهب الاخير ، كبشار ، وأبي العتاهية ، وأبي نواس .

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ : ص ١٦٨

(٢) المصدر السابق ج ١ : ص ٢٣٠

(٣) المصدر السابق ج ٢ : ص ٥٧٤

وإذا كان نقاد العرب قد وازنوا بين الشعراء القدماء والمحدثين —  
بصفة عامة — ففضل بعضهم شعر القدماء ، وأعرض عن شعر المحدثين ، فان  
نقاد القرن الثالث الهجرى نظروا بميزان الانصاف الى الفريقين ، وكان  
من بينهم ابن قتيبة الذى تمثل موقفه فى الانتصاف للمحدثين من انصار  
القديم .

أما التقويم القائم على الموازنة بين شاعرين ، أو بين نصين مفردين ، فلم  
يتعرض له ابن قتيبة .

وقد أشار ابن قتيبة الى عملية الربط بين الشعراء المتقدمين والشعراء  
المتأخرين ، وهى فكرة وجدت عند ابن سلام قبله ، ونظرت الى أن بعض  
الشعراء المتأخرين احتذى فى منهجه بعض طرق الشعراء المتقدمين ، مما  
جعل الشبه بينهم واضحا فكان جرير \* يشبه من شعراء الجاهلية بالهشبي \* (١)  
\* وكان الفرزدق يشبه من شعراء الجاهلية بزهير \* (٢) أما العباس ابن  
الاحنف فكان \* صاحب غزل ويشبه من المتقدمين بعمر بن أبى ربيعة \* (٣)  
وبذلك نرى أن ابن قتيبة فى تقويمه الشعراء قدلقى الضوء على بعض  
الخصائص الفنية التى تتمثل فى مناهج الشعراء ، وعلل لبعض الظواهر  
الأدبية التى برزت فى شعورهم . وعلى هذا فقد تخللت تراجم الشعراء مادة  
نقدية قيمة .

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٤٦٥ .  
(٢) المصدر السابق . ج ١ : ص ٤٧٦ .  
(٣) المصدر السابق . ج ٢ : ص ٨٢٧ .

### خاتمة البحث

=====

تناولت في هذه الدراسة نشأة ابن قتيبة وحياته وآثاره ، وقدمت صورة واضحة للاتجاهات النقدية في القرن الثالث الهجري ، ولقد اقتضى الحديث عن النقد الأدبي في القرن الثالث بعض الوقوف على أهم الخطوات التي خطاها النقد العربي منذ العصر الجاهلي حتى القرن الثالث لأن تلك الخطوات النقدية كانت من العناصر التي قام عليها النقد في هذا القرن ، كما أن ذلك قد كشف جهود ابن قتيبة في ميدان النقد العربي عندما تصدى له وألف فيه .

ولقد برزت شخصية ابن قتيبة الناقد في تلك المقدمة القيمة التي صدر بها كتاب " الشعر والشعراء " حيث عرض فيها كل ما جاء به من آراء نقدية دلت على منهجه التوفيقى في ميدان النقد الأدبي بوجه عام وصورت موقفه من الشعر من خلال معالجته لأهم القضايا النقدية التي تناولها النقاد بعده . وكان من أهم لغاته الفنية حديثه عن لغة الشعر . فقد حرص على فصاحة لغة الشعر والارتقاء بها عن سقط الكلام وحوشه وغلظته .

كما شارك النقاد في تخليص الشعر مما قد يملق به من الميوب التي تقلل من قيمته الفنية ، فحاول أن يبرز الميوب الشكلية وأثرها في العلاقات الاعرابية وما تحدثه في الأوزان من اختلال يفقد الشعر رونقه وجماله .

كما تحدث عن قضية اللفظ والمعنى ، وقسم الشعر على هذا الأساس الى أربعة أضرب مقررًا أن ركني الشعر هما اللفظ والمعنى وقد عالجهما مقترنين ففى النص الأدبي لا يحكم عليه بواحد منهما دون الآخر ، غير أن أحكامه في تلك

القضية كانت قائمة على أساس منطقي غير فني ، لأنه حاول أن يجعل للشعر قواعد مستمدة حكمه من بيت أو بيتين أو ثلاثة أبيات .<sup>(١)</sup>

كما أراد أن يجعل اللفظ في خدمة المعنى أحيانا ، وذلك في حديثه عن القسم الثاني من أقسام الشعر ، حيث حكم على قيمة الشعر من خلال الدلالة الممنوية ، دون أن ينظر الى الركن الثاني الذي يمثله اللفظ ، ولذلك تخطيط في قضية العلاقة بين اللفظ والمعنى .

وقد تنبه الى أن اللفظ والمعنى ليسا كل شيء في الشعر وأن هناك أموراً أقرب الى روحه فتحدث عن الوجوه التي يختار عليها الشعر ويحفظ متخذاً — الجودة في اللفظ والمعنى أساساً للمفاضلة بين الشعراء .

غير أنه قد أتى بموامل وأسباب أخرى لاختيار الشعر غير عامل الجودة في الالفاظ والمعاني وقد فقدت تلك الموامل والأسباب العنصر الموضوعي الذي يبنى عليه الاستحسان والحفظ والاختيار .<sup>(٢)</sup>

ثم تناول ابن قتيبة قضية المتكلف والمطبوع من الشعر وبين امسارات الشعر المتكلف فأجاد . وكانت خطوته تلك موفقة تدل على قدرته الادبيّة

---

(١) انظر في ذلك فصل قضية اللفظ والمعنى من هذا البحث .

(٢) انظر فصل دواعي حفظ الشعر واختياره من هذا البحث .

وسمة علمية حيث جعل تلك الامارات واضحة يصفها كل من له علاقة بصناعة الشعر ، كما أصاب في بيان خصائص الشعر المطبوع ، لكنه عندما أراد أن يطبق نقده ومفهومه للشعر المطبوع أخطأ التوفيق ولم يحالفه الحظ حيث اورد اكثر من شاهد دلت على انعدام الذوق في نقده التطبيقى ، من ذلك استشاده بأبيات ابن مطير في وصف المطر (١) ، ان لم يصدر الشاعر عن ذلك الطبع الذى تحدث عنه ابن قتيبة وبين خصائصه .

وقد حدد ابن قتيبة موقفه من قضية القديم والحديث في الشعر فقـــرر أنه يقدر الشعر بمقدار بلاغة القول بصرف النظر عن سائر الاعتبارات الاخرى ، وكان موقفه في ذلك يتمثل في الاتصاف بالحديث من انصار القديم .

كما ابدى اهتمامه بضرورة التناسب بين اجزاء القصيدة الواحدة مع مراعاة حالات المستمعين النفسية ، فالشاعر المجيد من عدل بين اقسام القصيدة " فلم يجعل واحدا منها أغلب على الشعر ولم يطل فيمل السامعين ولم يقطع بالنفوس ظمأ الى المزيد (٢) " .

ولما كانت السرقات الشعرية احدى قضايا النقد العرب فقد تناولها ابن قتيبة بطريقة تختلف عن منهج معاصريه وطرقهم في بحث تلك القضية . فقد عرضها في ثنايا كتاب الشعر والشعراء عرضاً مقتضياً دل على ذلك على مدى تقديره

---

(١) انظر تفصيل ذلك في فصل المتكلف والمطبوع من هذا البحث .

(٢) ابن قتيبة " الشعر والشعراء " ج ١ : ٧٦ .

لكل معنى مبتكر لم يسبق اليه الشاعر.

وكما تحدث ابن قتيبة عن الشعر تحدث ايضا عن الشعراء ، ونلمس من دراسته للشعراء انه تناول في تلك الدراسة جانبين مهمين ، أولهما الجانب العلمي : حيث ذكر انه تناول المشهورين من الشعراء " الذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الفريب وفي النحو وفي كتاب الله عز وجل ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> .

والجانب الثاني فني يتمثل في ترجمته للشعراء المحدثين الذين لا يقع الاحتجاج بأشعارهم وتقديره الشعر من ناحية جودة الكلام .

وقد اهتم ابن قتيبة بالشاعر وأولاه عناية كبيرة ، فمالج ما يحتاجه من ثقافة تمكنه من أن يقف على أرض صلبة في ميدان الشعر وتناول الحديث عن الحالات النفسية للشاعر وأثرها في شعره ، وتكلم عن المؤثرات والحوافز التي تدفع الشاعر الى القول وذكر العوامل التي تعوقه عنه ، وتحدث عن علاقة الشاعر بالآزمنة والامكنة ، وأدرك تفاوت الشعراء في الطاقة الشعرية .

وقد ترجم ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء لعدد كبير من الشعراء وتخللت تلك التراجم مادة نقدية قيمة ، فقد علل لبعض الظواهر النقدية التي برزت في شعر الشعراء ، وبين بعض الخصائص الفنية التي تتمثل في مناهج الشعراء .

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج ١ : ص ٥٩ .



"فهرس العراجسع"

- ابن الأثير ، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلى الشافعى ، المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ( القاهرة ١٣٥٤ - ١٩٣٥ م ) .
- ابن الأثير . عز الدين أبو الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى .
- ١ - الكامل فى التاريخ . ( بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م )
- ٢ - اللباب فى تهذيب الانساب . ( مصر ١٣٥٦ هـ ) .
- د . احسان عباس .
- تاريخ النقد الأديبى عند العرب من القرن الثانى حتى القرن الثامن الهجرى . ( بيروت ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م ) .
- د . أحمد أحمد بدوى . أسس النقد الأديبى عند العرب . ( القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م ) .
- أحمد أمين .
- ١ - ضحى الاسلام . ( مصر ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م )
- ٢ - النقد الأديبى . ( بيروت ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م )
- الأزهرى . أبو منصور محمد بن أحمد . تهذيب اللغة . ( مصر ١٣٨٤ - ١٩٦٤ م ) .
- أسامة بن منقذ . البديع فى نقد الشعر . ( مصر ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م ) .
- الأصبهائى . أبو الفرج على بن الحسين بن محمد الأموى . الأغانى ( بيروت تصوير ١٩٥٩ م ) . و ( طبعة مصر ١٣٧١ - ١٩٥٢ م ) .
- الامدى . أبو القاسم الحسن بن بشر . الموازنة بين الطائيين ( مصر ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م ) .

- ابن الأنباري . أبو البركات عبد الرحمن بن محمد . نزهة الألباء . فـ  
طبقات الأدياء . ( مصر ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م ) .  
الباقلائي . أبو بكر بن الطيب . اغجاز القرآن ( القاهرة ١٩٦٣ م ) .  
البحترى . الوليد بن عبيد بن يحيى . ديوانه . ( مصر ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م ) .  
د . بدوي طهانه . قدامة بن جعفر والنقد الأدبي ( مصر  
١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م ) .  
بروكلمان . كارل بروكلمان . تاريخ الأدب العربي . ( مصر ١٩٦٨ م ) .  
البستلي . فؤاد أفرام البستاني . دائرة المعارف . ( بيروت ١٩٦٦ م ) .  
البغدادي . اسماعيل باشا . هدية المعارفين . ( طبعة بالاقست أهران ٣٨٧  
البغدادي . عبد القادر بن عمر . خزانة الأدب ولبالب لسان العرب  
( تصوير بيروت بدون تاريخ ) .  
ابن تفرى بردى . جمال الدين أبو المحاسن يوسف . النجوم الزاهرة في  
أخبار ملوك مصر والقاهرة ( مصر ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م ) .  
ابن تيمية . أحمد بن عبد الحليم . تفسير سورة الاخلاص . ( مصر  
١٣٥٢ هـ ) .  
الجاحظ . أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب .  
١ - البيان والتبيين . تحقيق السندوي . ( القاهرة ١٣٧٥ هـ - ١٥٦ م )  
٢ - الحيوان . تحقيق عبد السلام هارون . ( مصر ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م ) .  
الجرجاني . عبد القاهر .  
١ - أسرار البلاغة ( استانبول ١٩٥٤ م )  
٢ - دلائل الاعجاز . ( مصر ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م ) .  
الجمعي . محمد بن سلام . طبقات فحول الشعراء  
( القاهرة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م ) .

- الجندى . عبد الحميد سند . سلسلة أعلام العرب ٢٢ . ( مصر ١٩٦٣ م )
- الجهمشيارى . أبو عبد الله محمد بن عبدوس . كتاب الوزراء والكتّاب  
( القاهرة ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٨ م ) .
- ابن الجوزى . على بن عبد الرحمن . المنتظم فى تاريخ الطوك والأُمم .  
( حيدرأباد . ١٣٦٠ هـ ) .
- الخطيب البغدادي . أبو بكر أحمد بن على . تاريخ بغداد . ( مصر  
١٣٤٩ هـ — ١٩٣١ م ) .
- ابن خلدون . عبد الرحمن بن محمد . المقدمة . ( طبعة مصرية بدون تاريخ ) .
- ابن خلكان . شمس الدين أحمد بن إبراهيم الشافعى . وفيات الأعيان  
( مصر ١٣١٠ هـ ) .
- الذهبى . شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد .  
١ — تذكرة الحفاظ . ( حيدرأباد ١٣٣٣ هـ ) .  
٢ — الصبر فى خبر من غبر ( الكويت ١٩٦١ م ) .  
٣ — ميزان الاعتدال فى نقد الرجال . ( مصر ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٣ م ) .
- ابن رشيق القيروانى . أبو على الحسن بن رشيق . العمدة فى محاسن  
الشعر وآدابه ونقده . ( مصر ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م ) .
- الزركلى . خير الدين . الأعلام . ( مصر ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٤ م ) .
- السمعانى . عبد الكريم بن محمد . الانساب . ( طبعة بالزنكوفراف ١١١٢ م ) .
- د . سهير القضاوى . النقد الأثين . ( مصر ١٩٥٩ م ) .
- ابن السيد البطليوسى . أبو محمد عبد الله بن محمد . الاقتصاب  
فى شرح أدب الكتاب . ( بيروت ١٩٠١ م ) .
- السيوطى . جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبى بكر .

- ١ — بشية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ( مصر ١٣٨٤هـ — ١٩٦٥م ) .
- ٢ — تاريخ الخلفاء . ( القاهرة ١٣٨٣هـ — ١٩٦٤م ) .
- ٣ — المزهر في علوم اللغة وأنواعها . ( مصر الطبعة الثانية بدون تاريخ ) .
- د . شوقي ضيف . —
- ١ — تاريخ الأدب العربي " العصر الجاهلي " . ( مصر ١٩٦٠م ) .
- ٢ — الفن ومذاهبه في الشعر العربي . ( مصر ١٩٦٩م ) .
- الصولي . أبو بكر محمد بن يحيى . أخبار أبي تمام . ( القاهرة ١٣٥٦هـ — ١٩٣٧م ) .
- ابن طباطبا . أبو الحسن محمد بن أحمد الطلوي . عيار الشعر ( القاهرة ١٩٥٦م ) .
- طه أحمد إبراهيم . تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري . ( بيروت بدون تاريخ ) .
- أبو الطيب اللخوي . عبد الواحد بن علي . مراتب النحويين . ( مصر ١٣٧٥هـ — ١٩٥٥م ) .
- أبو الطيب المتنبي . أحمد بن الحسين . ديوانه . شرح البرقوق — ( القاهرة ١٣٥٧هـ — ١٩٤٨م ) .
- عبد الحكيم بليغ . النثر الفتي وأثر الجاحظ فيه . ( القاهرة ١٣٧٥هـ — ١٩٥٥م ) .
- ابن عبد ربه . أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي . المعقد الفري — ( القاهرة ١٣٧٢هـ — ١٩٥٢م ) و ( طبعة القاهرة أيضا ١٣٥٩هـ — ١٩٤٠م ) .
- د . عز الدين اسماعيل . الأسس الجمالية في النقد العربي . ( القاهرة — ١٩٦٨م ) .

- المسقلاني . شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن صبر . لسان  
الميزان . ( حيدرآباد ١٣٣٠ هـ ) .
- العسكري . أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل . الصناعتين . ( مصر  
١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م ) .
- ابن المماد . أبو الفلاح عبدالحق الحنبلي . شذرات الذهب في أخبار  
من ذهب . ( مصر ١٣٥٠ هـ ) .
- العماري . علي محمد حسن . الصراع الأثني بين القديم والجديد  
( مصر ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٥ م ) .
- عمر رضا كحاله . معجم المؤلفين . ( دمشق ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م ) .
- الغززدق . همام بن غالب . ديوانه . ( بيروت ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م ) .
- الفيروز آبادي . مجد الدين محمد بن يعقوب . القاموس المحيط —  
( مصر ١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م ) .
- القاضي الجرجاني . علي بن عبد العزيز . الوساطة بين المقتبى وخصوصه .  
( مصر ١٣٧٠ — ١٩٥١ م ) .
- ابن قتيبة . عبدالله بن مسلم .
- ١ — أدب الكاتب . ( مصر ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٣ م ) .
- ٢ — الأئمة والسياسة المنسوب لابن قتيبة ( مصر ١٩٦٧ م ) .
- ٣ — الانواء . ( حيدرآباد ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م ) .
- ٤ — تأويل مختلف الحديث . ( مصر ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م ) .
- ٥ — تأويل مشكل القرآن . ( مصر . ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م ) .
- ٦ — الشجر والشمرء تحقيق أحمد محمد شاكر . ( مصر ١٩٦٦ م ) .
- ٧ — عيون الأخبار ( مصر ١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م نسخة بالافتتاح ١٩٧٣ م ) .

- ٨ — غريب القرآن . ( ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م ) .
- ٩ — المعارف . ( مصر ١٩٦٩ م ) .
- ١٠ — المعاني الكبير . ( حيدرآباد ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م ) .
- ١١ — الميسر والقдах . ( القاهرة ١٣٨٥ هـ ) .
- قدامة بن جعفر . نقد الشعير ( مصر ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م ) .
- القرطاجنى . أبو الحسن حازم . منهاج البلغاء وسراج الأدباء ( تونس
- ١٩٦٦ م ) .
- القفطى . جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف . أنباء الرواة على أنباء
- انحاة . ( مصر ١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م ) .
- ابن كثير . عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى البداية
- والنهاية فى التاريخ . ( مصر ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م ) .
- المبرد . أبو الحباس محمد بن يزيد . الكامل فى اللغة والأدب ( القاهرة
- ١٩٥١ م ) .
- د . محمد زغلول سلام .
- ١ — أثر القرآن فى تطور النقد العربى . ( القاهرة ١٩٦٨ م ) .
- ٢ — تاريخ النقد العربى الى القرن الرابع الهجرى . ( مصر ١٩٦٤ م ) .
- ٣ — سلسلة نواى الفكر العربى ١٨٠ ( مصر ١٩٦٥ م ) .
- د . محمد غنيمى هلال . النقد الاثنى الحديث . ( القاهرة ١٩٦٤ م ) .
- محمد كرد على . كتاب العرب فى رسائل البلغاء . ( مصر ١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م ) .
- د . محمد مندور . النقد المنهجى عند العرب . ( القاهرة ١٩٤٨ م ) .
- المرزبانى . أبو عبد الله محمد بن عمران .
- ١ — الموشح فى مأخذ الملقاء على الشعراء ( القاهرة ١٣٨٥ هـ ) .
- ٢ — مصحح الشعراء . ( مصر ١٣٧١ هـ — ١٩٦٠ م ) .

- المرزوقي . ابو على احمد بن محمد بن الحسن . شرح ديوان الحماسة  
( مصر ١٣٧١ هـ — ١٩٥١ م ) .
- المسعودى . على بن الحسين بن على . مروج الذهب ومعادن الجواهر  
( بيروت ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م ) .
- ابن منظور . أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب  
( يولاق ١٣٠٢ هـ ) .
- النابغة الذبياني . زياد بن معاوية . ديوانه . ( بيروت ١٣٦٨ م ) .
- ابن النديم . محمد بن اسحق بن يعقوب . الفهرست ( مصر ١٣٤٨ هـ ) .
- النوى . أبو بكر زكريا محي الدين بن شرف . تهذيب الأسماء واللغات  
( المطبعة المنيرية بدون تاريخ ) .
- اليافعي . أبو محمد عبدالله اسمعيل بن على بن سليمان . مرآة الجنان  
وعبرة اليقظان . ( بيروت ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م ) .
- ياقوت . ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي . معجم البلدان ( بيروت  
١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م ) .
- الترجمة العربية لدائرة المعارف الإسلامية . ( القاهرة ١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م ) .
- مجلة تراث الانسانية . ( القاهرة ١٩٦٤ م ) .

جدول الخطأ والصواب

| الصفحة | السطر | الخطأ             | الصواب            |
|--------|-------|-------------------|-------------------|
| ٥      | ١٠    | منهجه             | منهجه             |
| ٥      | ٧ - ٨ | الشمر الشمرا*     | الشمر والشمرا*    |
| ٥      | ٣     | برقة              | برقة              |
| ٧      | ٩     | قـ                | فسـ               |
| ١٠     | ١ -   | ارت               | اردت              |
| ١٢     | ١٠    | تمين              | تمين              |
| ١٣     | ٥     | محل               | محل               |
| ١٦     | ٦     | الشمر بين         | الشمر بين         |
| ٢٢     | ٤     | قتنه              | قتيبة             |
| ٢٦     | ٥     | غد                | غير               |
| ٢٩     | ٩     | مخصية             | شخصية             |
| ٣١     | ١٣    | عليلة             | علمية             |
| ٣٤     | ١١    | —                 | منهما             |
| ٣٦     | ١٤    | ١٠ - كتاب الانوار | ١٠ - كتاب الانوار |
| ٣٨     | ٠٢    | وذكرة             | وذكره             |
| ٤١     | ٥٥    | معناني            | معاني             |
| ٤٢     |       | كتبه              | كتبه              |
| ٤٦     | ٥٥    | كتاب ارب          | كتاب ارب          |
| ٤٧     | ١٥    | حمد               | أحمد              |
| ٤٧     | ١٧    | التاريخ           | التاريخ           |
| ٥٠     | ٠٢    | لمترجت            | امترجت            |
| ٥٠     | ٠٧    | السنن             | السنن             |
| ٥٢     | ٠٣    | والتمسين          | والتمسين          |
| ٥٣     | ٠١    | الوجوه            | الوجوه            |
| ٥٣     | ٠٧    | منج               | منج               |
| ٥٣     | ٠٩    | صنن               | من                |
| ٥٥     | ٠٧    | ومبة              | ومبة              |
| ٦١     | ٠٣    | قريش              | قريش              |



| الصفحة | السطر          | الخطأ     | المصواب   |
|--------|----------------|-----------|-----------|
| ٦٢     | ٠١             | الشمر لـ  | الشمر     |
| ٦٣     | ٠٩             | حجج       | حجج       |
| ٦٣     | ١١             | طرقه      | طرقه      |
| ٦٦     | ٠٨             | أكفاء     | الأكفاء   |
| ٦٧     | ٠٥             | جرينا     | جرينا     |
| ٧٠     | ٠٣             | تخلو      | تخلو      |
| ٧١     | ٢ ( الهامش )   | الصناعين  | الصناعين  |
| ٧٢     | ٠٢             | لتبيض     | لتبيض     |
| ٧٢     | ٠٣ ( الهامش )  | الصناعين  | الصناعين  |
| ٧٤     | ٠٤             | المخفوض   | المخفوض   |
| ٧٥     | ٠٥             | على       | على       |
| ٧٦     | ١١             | الى لا    | لا        |
| ٨٠     | ٠٩             | التقضى    | التقضى    |
| ٨٠     | ٠٣ ( الهامش )  | الصناعيين | الصناعيين |
| ٨١     | ٠١ ( الهامش )  | الصناعين  | الصناعيين |
| ٨٦     | ٠٤             | ومضى      | ومضى      |
| ٨٦     | ٠٢ ( الهامش )  | الصناعين  | الصناعيين |
| ٨٧     | ٠٤             | ان        | ابن       |
| ٨٩     | ٠١             | اضرب      | اضرب      |
| ٨٩     | ٠٩ ( الهامش )  | الصناعين  | الصناعيين |
| ٩٤     | ٠٦             | موضح      | موضح      |
| ٩٤     | ١٠ ٨           | رونقة     | رونقة     |
| ٩٤     | ١٠ ( الهامش )  | البشتى    | البشتى    |
| ١٠٠    | ٠٢             | ظلاءمش    | ظلاءمش    |
| ١٠٢    | ٠٢             | روية      | روية      |
| ١٠٢    | ٨ ٣ ( الهامش ) | الصناعين  | الصناعيين |
| ١٠٢    | ١٤ ( الهامش )  | الصناعيين | الصناعيين |

| الصفحة | السطر         | الخطأ      | الصواب     |
|--------|---------------|------------|------------|
| ١٠٤    | ٠٣ ( الهامش ) | الصناعين   | الصناعتين  |
| ١٠٥    | ١٣            | تقلهما     | نقلهما     |
| ١١٠    | ٠٢ ( الهامش ) | وبالجزره   | وبالجز     |
| ١١١    | ٠٦ ( الهامش ) | الصناعين   | الصناعتين  |
| ١١٢    | ٠٨            | بالدره     | بالدره     |
| ١١٢    | ١٥            | مؤمقة      | متدقة      |
| ١١٥    | ٠٤            | الاستعارات | الاستعارات |
| ١١٥    | ١٣            | الاعراب    | الاعراب    |
| ١١٥    | ١٤            | نوعين      | نوعين      |
| ١١٥    | ٠١ ( الهامش ) | الصناعين   | الصناعتين  |
| ١١٨    | ١١            | والرابط    | والترابط   |
| ١٢١    | ١٢            | الطريقة    | الطريقة    |
| ١٢٥    | ٠١            | يمسح       | يمسح       |
| ١٢٥    | ١٣            | موفقه      | موفقة      |
| ١٢٨    | ٥ - ٧         | د وار      | د وار      |
| ١٣١    | ١٠            | لاهنه      | لاهنه      |
| ١٣٢    | ١٧            | قد ونوا    | قد ونوا    |
| ١٣٣    | ٠٢            | د امترضا   | د امترضا   |
| ١٣٤    | ٠٩            | ما سيتحق   | ما سيتحق   |
| ١٣٦    | ٠٤            | بيتي       | بيتي       |
| ١٣٨    | ٠٧            | يلمح       | يلمح       |
| ١٤٠    | ٠١            | رسح        | رسح        |
| ١٤١    | ١٢            | مقب        | مقب        |
| ١٤٢    | ١٢            | م ثابت     | م ثابت     |
| ١٤٥    | ١٨            | مقطعة      | مقطعة      |
| ١٤٧    | ٠١            | يسيق       | يسبق       |
| ١٤٨    | ٠١            | نرا يصتمل  | نراه يصتمل |
| ١٤٩    | ٠٩            | ضمما       | نظ         |
| ١٤٩    | ١٦            | بيالع      | بيالع      |

| الصفحة | السطر        | الخطأ         | الصواب        |
|--------|--------------|---------------|---------------|
| ١٥٢    | ١١           | يقفاهتمامه    | يقف اهتمامه   |
| ١٥٢    | ١٨           | نجد ميهتم     | نجد بهتم      |
| ١٥٣    | ٥٦           | الغريبة       | الخريبة       |
| ١٥٤    | ٥١           | المشلق باللفة | المقطة باللفة |
| ١٥٦    | ١٤           | الهوا         | الهواء        |
| ١٥٨    | ٣ ( الهامش ) | ح             | ح ا           |
| ١٥٩    | ١٠           | وأجوده        | وأجود         |
| ١٦٤    | ٥٦           | يوخر          | يؤخر          |
| ١٦٥    | ٥٤           | الفتوى        | الفتوى        |
| ١٦٥    | ٥٨           | نظرات         | نذرت          |
| ١٧٠    | ١٦           | دل على ذلك    | دل مع ذلك     |